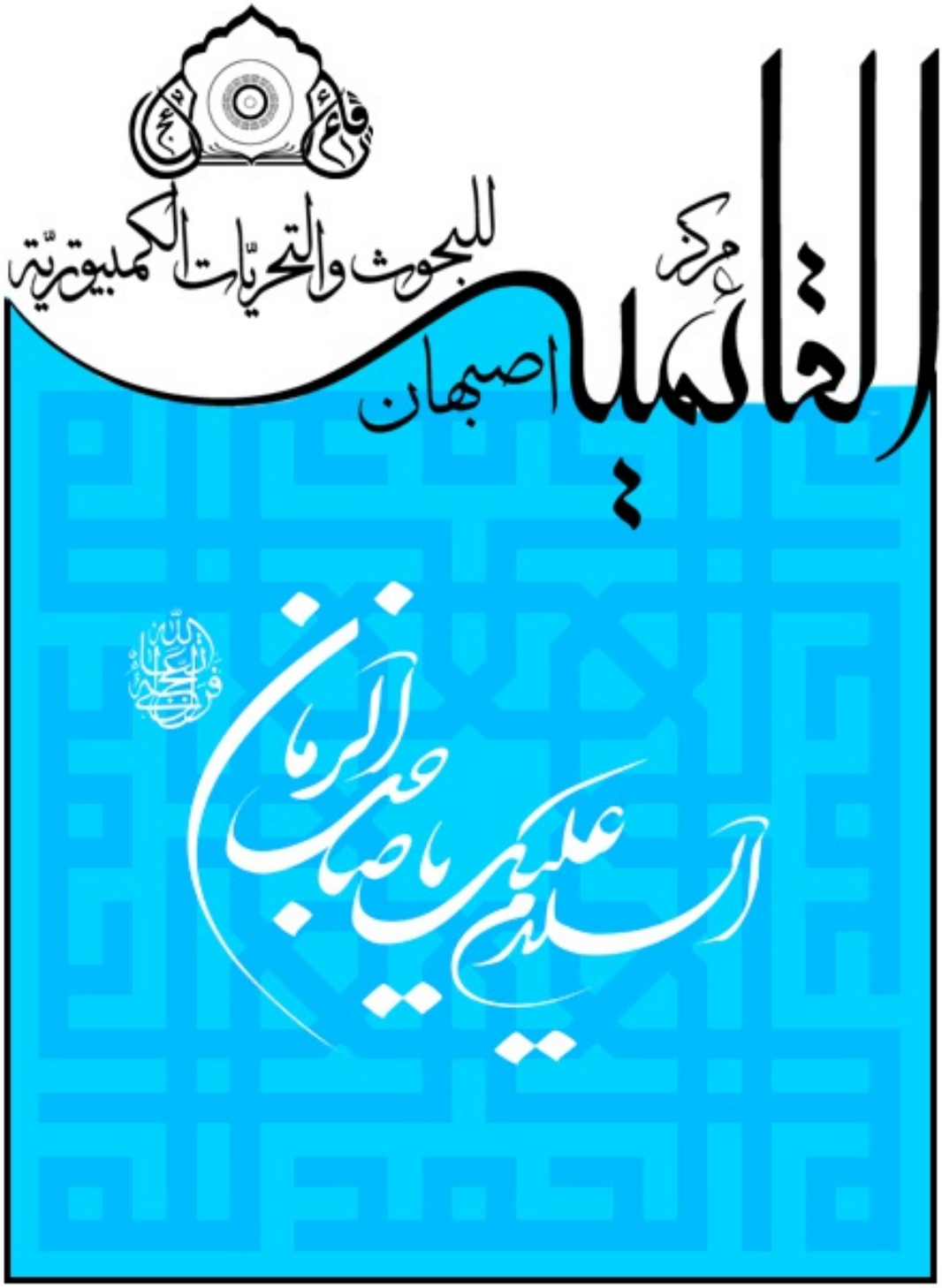

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

الامام المهدی عجل الله تعالی فرجه

قدوة الصدیقین

محمد تقی مدرسی

بسم الله الرحمن الرحيم

الامام المهدى عجل‌الله فرجه قدوة الصديقين

كاتب:

محمد تقى المدرسى

نشرت فى الطباعة:

دار محبى الحسين عليه‌السلام

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
الامام المهدی عجل‌الله فرجه قدوة الصدیقین ----- ۱۰
اشارة ----- ۱۰
المقدمة ----- ۱۰
الیوم الموعود فی الأفق ----- ۱۱
بقیة الله خیر لکم ----- ۱۱
البشریة بانتظار الأمل الواعد ----- ۱۲
البشریة بین الیأس و الأمل ----- ۱۳
الرحمن علی العرش استوی ----- ۱۴
الامل الصادق ----- ۱۴
قتل الخرّاصون ----- ۱۴
الامام المهدی أمل الإنسانیة الأکبر ----- ۱۵
اوضاع العالم تنذر بالدمار ----- ۱۵
ضرورة الاعتقاد بالوحی ----- ۱۶
الایمان بامتداد الوحی ----- ۱۶
کیف نکرس الأمل فی نفوسنا؟ ----- ۱۶
حاجتنا إلی الأمل ----- ۱۶
الیوم الموعود؛ أمل البشریة و وقود مسیرتها ----- ۱۷
منعطفات خطیرة ----- ۱۷
شحنة الأمل و التفاؤل ----- ۱۷
امل البشریة ----- ۱۸
سنة لابد منها ----- ۱۸
البشریة فی الانتظار ----- ۱۸

انتظار الفرج افضل الأعمال ----- ۱۹
علاقة الانتظار بواقعنا ----- ۱۹
ازمة الأنظمة الطاغوتية ----- ۱۹
انتظار الفرج افضل الأعمال ----- ۲۰
عقيدتنا بالمهدى سرّ قوتنا ----- ۲۰
اهمية الأمل و التفاؤل ----- ۲۰
فكرة الانتظار ترعب المستكبرين ----- ۲۱
فى انتظار الامام المهدى ----- ۲۱
الابعاد الحياتية للعقيدة بالإمام المهدى ----- ۲۱
بصائر المعرفة بالامامة و الإمام ----- ۲۱
توثيق عرى العلاقة بالإمام المنتظر ----- ۲۲
العقيدة بالإمام الحجة ----- ۲۳
الانتظار مفهوم رسالى نهضوى ----- ۲۴
فوائد عصر الغيبة الكبرى ----- ۲۵
اشاره ----- ۲۵
انتظار الفرج ----- ۲۵
تعزيز روحيّة الإنسان المؤمن ----- ۲۶
بركة دعاء الإمام لأتباعه ----- ۲۶
الاجر و الثواب الإلهيان ----- ۲۶
الفوائد الحقيقية ----- ۲۷
اشاره ----- ۲۷
تغيير السلوک ----- ۲۷
الاستعداد النفسى و الجسمى ----- ۲۷
التبشير بالإمام ----- ۲۸

المفهوم الحقیقی لانتظار الإمام المهدی ----- ۲۸
علاقتنا بالإمام المنتظر ----- ۲۸
الظهور یتحقق علی أیدی المؤمنین المجاهدین ----- ۲۸
الجهاد علی نوعین ----- ۲۹
الجهاد طبیعة المؤمنین ----- ۲۹
اشاره ----- ۲۹
النجاة من النار هدف المؤمنین الأعلی ----- ۲۹
ما یأخذه الإنسان المؤمن ----- ۲۹
الجهاد فی کل الظروف و الأحوال ----- ۳۰
الحواریون قدوة المؤمنین ----- ۳۰
الامام الحجة شمس مغیَّبة ----- ۳۰
جوانب علاقتنا بالإمام ----- ۳۰
کیف ننتظر الإمام المهدی؟ ----- ۳۱
المهدی خاتم الأوصیاء ----- ۳۱
الرحمة الإلهیة تقتضی الظهور ----- ۳۱
الظهور هو السعادة الحقیقیة ----- ۳۲
لماذا آلت البشریة إلی هذا الوضع؟ ----- ۳۲
المعنی الحقیقی للانتظار ----- ۳۳
للانتظار ثلاث معانٍ متدرجة وهی ----- ۳۳
کیف نرضی الإمام المنتظر؟ ----- ۳۴
فی استقبال الإمام المهدی ----- ۳۴
مجرد الحرب لیس جهاداً ----- ۳۵
تری کیف نمیّز القتال الحق عن الباطل؟ ----- ۳۵
اشاره ----- ۳۵

الصراع بين الإيمان و الجاهلية يبلغ أوجه ----- ۳۵
الولاية و الايمان بالغيب ----- ۳۶
مرتكزات الولاية الإلهية ----- ۳۶
ركائز النظام السياسى فى الإسلام ----- ۳۷
تسلسل نظام الولاية ----- ۳۷
بين الشورى و الديمقراطية ----- ۳۸
الولاية السبيل إلى تحقيق العدالة ----- ۳۹
القرآن شفاء كل داء ----- ۳۹
حقيقة العدالة ----- ۳۹
لماذا البؤس و الحرمان؟ ----- ۳۹
الخالق يريد لنا العزة و الكرامة ----- ۴۰
وصيتان إلهيتان ----- ۴۰
سبيل العدالة ----- ۴۱
مقياس ولى الأمر ----- ۴۱
اهل البيت هم أولو الأمر ----- ۴۱
هل انتفت الحاجة إلى الإمامة؟ ----- ۴۱
من هو الإمام فى عصرنا الراهن؟ ----- ۴۲
آثار وجود الإمام المنتظر ----- ۴۲
اهمية اتباع المرجعية ----- ۴۲
خط الولاية هو الخط القويم ----- ۴۲
اوجه الشبه بين الإمام المهدى و النبى موسى ----- ۴۳
اثبات القدرة الإلهية ----- ۴۳
الانتظار الطويل ----- ۴۴
اشاره ----- ۴۴

الغیبة الصغری ----- ۴۴
واجبنا فی عصر الغیبة ----- ۴۴
الایمان بالحقائق الغیبیة ----- ۴۶
سنّة سماویة ----- ۴۷
الاتصال بالغیب حاجة ماسة ----- ۴۷
زادنا أمام العقبات ----- ۴۸
اشاره ----- ۴۸
القیادة و القرار الصعب ----- ۴۸
ضرورة الاهتمام بالمسائل الغیبیة ----- ۴۹
لانقاذ المستضعفین ----- ۴۹
پاورقی ----- ۴۹
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۵۰

الامام المهدى عجل‌الله فرجه قدوة الصديقين

اشارة

سرشناسه : مدرسی، محمدتقی، - ۱۹۴۵

عنوان و نام پدیدآور : الامام المهدی عجل‌الله فرجه قدوه الصدیقین/ محمدتقی المدرسی

مشخصات نشر : تهران: دار محبی الحسین(ع)، ۱۴۲۲ق. = ۲۰۰۱م. = ۱۳۸۰.

مشخصات ظاهری : ص ۱۴۴

شابک : ۹۶۴-۷۳۷۳-۱۰-۴۴۰۰۰ریال ؛ ۹۶۴-۷۳۷۳-۱۰-۴۴۰۰۰ریال

وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی

یادداشت : عربی

یادداشت : فهرستنویسی براساس اطلاعات فیپا.

یادداشت : کتابنامه به‌صورت زیرنویس

موضوع : محمدبن حسن(عج)، امام دوازدهم، ۲۵۵ق. - .

موضوع : مهدویت -- انتظار

رده بندی کنگره : BP۲۲۴/۴/م۱۴الف۷۷۵

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۴۶۲

شماره کتابشناسی ملی : م۸۰-۳۴۱۱

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين محمد وآله الطيبين الطاهرين.لأجل أن يرقى الإنسان إلى الأعالى فى سلالم التقوى والنجاح، وان يفوز بحياة طيبة.. لابد له من نموذج يتأسى به، وقدوة يقتدى بها.ونحن نعيش فى زمن يصعب على الإنسان اختيار النموذج والقدوة ليكون شاخصا له ومقياساً فى أفكاره وأعماله وطموحاته، حيث أن وسائل الإعلام فى عصرنا الحاضر أخذت تلمع لنا مئات الأسماء والشخصيات، فى شتى المجالات، مما جعلت البعض يحتار فى اختيار قدوته؛ بل قد يتيه بين الكم الهائل من الأسماء اللامعة فلا يهتدى إلى النموذج الذى يبغيه، فيعيش الضياع.فى ظل هذه الأجواء التى تحكمها الدعاية، وتسيرها وسائلالاعلام.. ينساب البعض معها دون أى تفكير، مما يجعل قلبه يميل فى كل مرة مع شخص قد سلطت عليه الأضواء؛ سواء كان بطلاً رياضياً أو نجماً سينمائياً، أو وجهاً سياسياً..غير إننا لو دققنا النظر، نجد كل هؤلاء؛ إن كانوا حقاً قدوة.فإنما هم قدوة فى جانب واحد حسب اختصاصهم وما عرفوا به من إبداع؛ بغض النظر عن أهميته الحياتية، ومكانته الاجتماعية.. وهذا -بدوره- قد لا ينسجم مع واقع كل واحد من الناس، لاختلاف توجهاتهم وأذواقهم..ولكن إذا ما بحثنا عن قدوة يروى ظمأ كل العطاشى، وينسجم مع الجميع.. لم نجد فى زماننا هذا غير شخص واحد، ألا وهو الإمام الحجة بن الحسن المهدى عليه السلام.ففيه يجد الإنسان بغيته، وعبره يحقق طموحاته، وبواسطته يدخل الجنة.من هنا يجدر بنا آن لا نحيد النظر عنه، بل لابد أن نقترب منه، وذلك عبر معرفته شخصياً، واستيعاب كلماته، والالتزام بمنهجه.ويخطأ كل من يولى وجهه إلى غيره، مهما كانت خصوصياته. فالإمام عليه السلام هو قدوة الصديقين، ومنار الصالحين؛ وهو -بكلمة- هدية الرب جل جلاله إلى الناس أجمعين، لينقذهم من الظلم والجور إلى شواطئ القسط والعدل بإذن الله تعالى.والحديث عن الإمام المهدى عليه السلام - بلا أى مبالغة- إنما هو يجذب القلوب، ويهيمن على النفوس.. لأنه

حـدیث عن شـخص کله فضائل، وکله قیم، وکله مکارم.. فإنه بلسم لکل جرح، وشـفاء لکل داء، وانه حیاة القلوب والأرواح.وبهـدف القرب من الإمام علیه السلام ولو بخطوة، والاهتـداء بهـداه، والتبصـر بأحواله.. قمنا بجمع جملـة أحادیث ألقاها سـماحة آیة الله السـید محمـد تقی المدرسـی فی مناسـبات عدیدة حول شـخص الإمام المنتظر وشخصـیته، راجین من الله تعالی أن ینفع بها عباده الصالحین، ویزیدنا بذلک أجراً وثواباً إلی یوم الدین.القسم الثقافیمکتب آیة الله السید محمد تقی المدرسیطهران ۲/ ذی القعدة/۱۴۲۱هـ

الیوم الموعود فی الأفق

بقیة الله خیر لکم

« بَقِیَّتُ اللَّهِ خَیْرٌ لَکُمْ إِن کُنتُـم مُـؤْمِنِینَ وَمَـآ أَنَـاْ عَلَیْکُمْ بِحَفِیـظٍ» (هود/۸۶)یعیش المسـلمون فی هذا العصـر وفی هذا الظرف الحساس تحـدیات خطیرة، منها ما هی تحـدیات مادیـة تحیط بأجسامهم وبلادهم، ومنها ما هی تحـدیات وأخطار روحیة ومعنویة تحیط بقیمهم ورسالتهم..ولا یغیب عنا ان العدیـد من البلدان الإسـلامیة تعانی من خطر الإدمان علی المخدرات، هذه اللّعنة التی أخذت وقضت علی کثیر من شـبابنا، حتی أن بلـداً إسـلامیاً واحـداً فقط یوجد فیه حوالی خمسة ملایین مدمن..وتواجـه العدیـد من بلدان المسـلمین خـطر الحروب حتی قیل مؤخّراً أن الغربیین قـد جاءوا بالقنبلـة النوویـة إلی منطقة الخلیج، وهم لم یأتوا بها للقضاء علی سـلطة صدام طبعاً، إذ هی صـنیعتهم دون أدنی شک؛ فهی -إذن- موجّهة ضد الشـعوب المسـلمة فی هذه المنطقة، القنبلة التی یزید تأثیرها علی مفعول قنبلة هیروشـیما خمسـین مرة، علماً أن هـذه الأخیرة قد قضت علی مائتی ألف إنسان یابانی فی مدة لا تتجاوز ربع الثانیة وحولتهم إلی رماد ودخان.ونحن نواجه أیضاً خطر الهجوم الثقافی الغربی الشـرس علی قیمنا وعقولنا؛ فهذه الأقمار الصناعیة بلغ عددها أکثر من خمسمائة قمر صناعی متناثرة فی الفضاء، تبث فی کل یوم عشرات الآلاف من الأفلام الرذیلة. فهم أدخلوا العهر والفساد والمیوعة إلی عقر دیارنا ومخـادع نومنا، وأولادنا لم یعودوا أولادنا، بل هم أولاد الغربیین قبل کل شـیء، لأنهم هم الـذین یربّونهم، وهم الـذین یسـتولون علی أرواحهـم وعقـولهم وإرادتهـم.ونحـن نـواجه مخـاطر الجفـاف وشـحّة الأمطـار والمحاصـیل الزراعیـة، بسـبب ضـعف البنی التحـتیة لاقتصادیاتنـا.فبمـاذا نواجـه هـذه المخـاطر وغیرهـا؟ وإلی أی موقـع نلجأ؟هل نلجأ إلی أمیرکا أم روسـیا أم أوروبا؟ویجیبنا الله تبارک وتعـالـی عن کـل ذلـک بقولـه الکریــم: « بَقِیَّتُ اللَّهِ خَیْرٌ لَکُمْ»فحسب مـا نستفیده من بعض النصوص القرآنیـة وروایـات أهل البیت علیهم السـلام أن الله عزّ وجـل قـد نصب الجبـال فی الأـرض لحفـظ توازنها ومنعها عن المیلان، لأنها بمثابـة المرساة التی تحافظ علی توازن السـفینة، ولکن من یحفظ سـکان الأرض من الدمار والانهیار والضیاع؟إنه الإمام الغائب؛ الإمام المهدی المنتظر عجل الله فرجه، فهو الإمـام لأهـل الأـرض، ولولاه لساخت الأرض بأهلها، ولتحول کل شـیء إلی کثیب مهیل.ولکن لا یکفی فی أی حال من الأحوال الادعاء بالإیمان بهـذا الإمام العظیم، بل لابد من التمسّک بحبله؛ تماماً کمن کان غریقاً تتلاقفه أمواج البحر العاتیة، لا یکفیه النظر إلی خشـبة طافیـة فوق سـطح المـاء، وإنما یتوجّب علیه امتطاء تلک الخشـبة.والله جل وعلا قـد أمرنا بالتمسک بالقرآن وبأهل البیت علیهم السـلام، حیث قال: «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِیعاً» وأهل البیت هم لا غیرهم سفن النجاة، مَن رکبها نجا ومن تخلّف عنها غرق وهوی.فیا تری کیف نتمسک بحبل الله، وکیف نرکب سفینة النجاة؟ولتعلم - أخی المسلم - قبل کل شیء أن الإمام الحجة المنتظر أقرب إلیک مما تظن، وهو عنـدک وأنت عنده.. ولکنک أنت الذی تحاول التهرب منه بسـبب ما تقترفه من ذنوب وأخطاء..وقد روی عـن سـماعة عن الإمام الصادق علیه السـلام قال: سمعته یقول: مالکم تسوؤن رسول الله صلی الله علیه وآله؟ فقال لـه رجل: کیف نسوؤه؟ فقال: اما تعلمون ان أعمالکم تعرض علیه، فإذا رأی فیها معصـیة ساءه ذلک، فلا تسوؤا رسول الله صـلی الله علیه وآله وسرّوه [۱] .إذن فالرسول والأئمـة یسوؤهم أن یروا فی قوائم أعمـال محبیهم ذنوبـاً، کشـرب الخمر وسـماع الأغانی والغیبـة والتهمـة والنمیمـة والتفرقـة والعصبیة والخمول والتهرب من الجهـاد.إذن؛ فإن ارتکاب الـذنوب إذا کان یحجب العبـد العاصـی عن ربه، فکـذلک هو یحجب عن أولیاء الله

وأحبائه.إن اختراق الحجب الفاصلة بين المؤمنين وإمامهم يتيسّر عبر الالتزام بهذه النقاط التالية:١- هجر الذنوب والتوبة إلى الله سبحانه وتعالى منها، وعدم القنوط من رحمة الله، وعدم الاستخفاف بمنزلة أولياء الله.٢- الإكثار من ضمانات الأمن، كبناء المساجد والحسينيات والمدارس العلمية، فهى كما الأعمدة فى البناء تحافظ عليه،وهى كالسور الذى يدافع ويحصن المدينة.٣- الاهتمام بتربية الأولاد تربية صحيحة، إذ فى ذلك ضمانة لاستمرار الدين فى الحياة. فالإنسان مسؤول فى الدنيا والآخرة عن تربية أولاده، قبل أن يكون مسؤولاً عن توفير لقمة العيش لهم، لا سيما إذا عرفنا أن الله سبحانه وتعالى يخلق الإنسان ويكتب رزقه له، وبالتالى فإن الوالدين يتوجّب عليهما قبل كل شىء تقريب أولادهما إلى تعاليم القرآن وتعاليم النبى وأئمة أهل البيت عليه وعليهم السلام، ليوفروا بذلك ضمانة عدم انحرافهم أو تقليل فرص الضلال التى يخلقها أعداؤهم لهم.إننا فى عصر الغيبة مدعوون إلى مزيد من التوجه إلى إمامنا الحجة بن الحسن عليهما السلام، حتى أن فى بعض الروايات تأكيد على مخاطبته بلقب بقية الله، ولعل السبب فى ذلك يعود إلى أن مائة وأربعة وعشرين ألف نبى قد أدّوا أدوارهم المقدسة ورفعهم الله مكاناً علياً، وأن أضعاف هذا العدد من الأوصياء قد انتهى دورهم، ولم يبقَ لنا من حبل بين السماء والأرض سوى هذا الإمام العظيم بعد كتاب الله المجيد؛ فلنتمسك به ونتوجه إليه، ونطلب منه أن يكون وسيلتنا وشفيعنا إلى الله سبحانه وتعالى..

البشرية بانتظار الأمل الواعد

«وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم ، يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُم مُسْلِمُون» (آل عمران/١٠١-١٠٢)مثَلُ الرسالة الإسلامية الخاتمة مَثَلُ الثمرات التى أنعم الله بها على الإنسان؛ هذه الثمرات التى إذا اجتمعت صنعت إنساناً متكامل الجسد، صحيح البنية، سوياً مقتدراً.. ولكنها لو اختلفت ولم يحسن الاستفادة منها، لم تعطِ النفع المرجوّ، لاسيما وأن البدن فقير الى جميع ما تحويه تلكم الثمرات، حيث تساهم فى صناعة القوة والحيوية والفاعلية، وأن الحكمة الإلهية قد قدرت توزيع احتياجات الجسم الإنسانى على خواص الثمرات، حتى أن الإنسان إذا ما استفاد من ثمرة دون أخرى لأحس بالنقص وبالفقر الى ميزات ما لم يتناوله.أقول: إن مثل الدين مثل الثمرات، نظراً الى أن الدين عبارة عن وحدة متكاملة ينبغى الاستفادة منه بعمومه، دون تعمد أخذ نبذة منه وإلقاء الباقى، وإن المجتمع البشرى لو انصاع إلى جميع بنود منهجه وتعليماته ووصاياه لسعد كل السعادة.أما إذا استفاد من جزئه، فإنه سيستفيد — فى واقع الأمر- من جزئه الذى به عمل.فصحيح أن المجتمع الذى يترك بعض الوصايا ويعمل بالبعض الآخر لن تتحقق له السعادة المطلقة، ولكنه فى الوقت ذاته سوف لن يشقى الشقاء المطلق.فلو فرضنا أن مجتمعاً ما قد التزم بفريضة الإحسان إلى الوالدين ولم يلتزم بالوصايا الدينية الأخرى، فإنه سيستفيد بمقدار ما التزم. ولو أن أمة عملت بالمبادئ الإسلامية فى مجال الاقتصاد، كتحريم الربا والغش والسرقة والكسل، فإنها ستكون أمة سعيدة من الناحية الاقتصادية، أوَلا ترى الشعوب الغربية كيف حققت لنفسها نمواً اقتصادياً مذهلاً حينما عملت بوصايا الإسلام فى هذا المجال، رغم أنها قد لا تعلم بالجهة المشرّعة التى تلتزم بتعاليمها، ورغم أنها لا تؤدى التعاليم الإسلامية الأخرى، كالصلاة والصيام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر...إن الحديث هذا ليس إلّا تمهيداً لما أريد قوله فى مناسبة ولادة الإمام الحجة المنتظر عجل الله فرجه الشريف.فالإيمان بوجود هذا الإمام العظيم والاهتمام الجدى بعقيدة انتظار ظهوره، يعتبران من أهم وصايا الأنبياء لأممهم على مرّ التأريخ، حيث لم يبعث الله نبياً إلّا وبيّن له ان خاتمة هذه الدنيا ستكون الى خير وسعادة وأن العاقبة للمتقين، وأن الأرض سيورثها الله عباده الصالحين، حيث سيمكّن الله المستضعفين فى نهاية المطاف.ولقد آمن جميع الأنبياء والمرسلين والأئمة والصالحين بحقيقة ظهور الإمام الحجة المنتظر عليه السلام فى آخر الزمان، وبحقيقة ان الله سيملأ به الأرض عدلاً وسعادة بعد أن ملأها الظالمون وأتباعهم جوراً وبؤساً. كما ان الأنبياء وعلى رأسهم سيدنا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم قد بشروا بذلك الظهور الموعود طيلة حياتهم، كما كان الأئمة من أهل البيت عليهم السلام يبشرون به أيضاً.ولو أننا افترضنا التزام البشرية بهذه العقيدة -عقيدة انتظار ظهور الإمام المهدى

عليه السلام- بغضّ النظر عن إيمانها أو التزامها بسائر العقائد والوصايا الإلهية الأخرى، فإن لنا الجزم بأن هذه الأمة ستحقق الفائدة الكبرى من اهتمامها بهذه الوصية المقدسة.

البشرية بين اليأس و الأمل

تطالع البشرية أخبار الدمار العالمى والحروب الدولية والمؤامرات السياسية وانتهاك الحقوق، وتفاجأ بأخبار مروّعة فى كل صباح ومساء، حيث أنها لتروّع لدى إخبارها بأن الكرة الأرضية قد حزمت بحزام متفجّر اسمه الخطر النووى والكيمائى والجرثومى، وأنواع هائلة ورهيبة من الأسلحة الفتاكة.وتروّع أيضاً بأخبار اتساع الفجوة الحاصلة فى غلاف الأوزون، وأن درجة حرارة الأرض والمحيط الجوى سترتفع إلى حدٍ تطغى فيه البحار على اليابسة، أو تتضاعف لديه احتمالات وقوع الزلازل وانفجار البراكين، أو غير ذلك من أنباء الرعب والهلع؛ بل إن من الدراسات الاستراتيجية تؤكد بأن العالم – بما فيه العنصر البشرى- سينتهى إلى وقت قريب، إذا ما استمرت وتيرة التدمير هذه، حيث الاستفادة غير المدروسة من النفط والغازات السامة واقتلاع الغابات التى خلقت لنفع الإنسان، الأمر الذى سيؤدى الى انقراضه من على سطح الأرض.إن مثل هذه الأخبار التى تطالع البشرية فى كل صباح ومساء، تؤدى إلى انكماشها على نفسها، وإلى يأسها من الحياة والحركة، حتى أنها - فى هذا الجو المفعم بالتطيّر والتشاؤم- ستتمنى الموت قبل أن يحلّ بها، باعتبار ان القلب البشرى المجبول على التقلب والتحول يعجز عن الصمود بوجه موجات الرعب المشار إليها.ولكن البشرية نفسها إذا طالعها قول الله سبحانه وتعالى: [وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الاَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ الصَّالِحُونَ] (الانبياء/۱۰۵) فحدثت نفسها وآمنت به على اعتبار ان الله لن ينهى العالم إلاّ الى الخير والسعادة والصلاح، وأن هذه السفينة التى تعصف بها الأعاصير وتتقاذفها الأمواج العاتية سوف تعود الى المرفأ الآمن، وأنه من المتوقع بين لحظة وأخرى حدوث المعجزة الإلهية الكبرى، حتى ولو كان ذلك سيتحقق للأجيال القادمة فهى – البشرية- ستعيش حياة الأمل وواقع النشاط والحيوية، والإصرار على تحدى اليأس والخضوع دون شك.إذن؛ فالدعوة الإسلامية ينبغى أن تتوجه الى جميع الناس، بمن فيهم المسيحيون واليهود والكفار وعبدة الأوثان، وأن تصطبغ هذه الدعوة بصبغة التبشير بحقيقة أن الله عز وجل لم يخلق الخلق من الناس ليعذبهم أو ينهى وجودهم على الأرض وهم تعساء. ولم يرض عن الظلمة والمترفين الذين يعيثون فى الأرض الفساد. وذلك لأن الرب هو قائد العالم والمسيطر على مقدّراته، فهو الرحمن الذى لا حدود لرحمته، وقد أبت هذه الرحمة والإرادة الإلهية أن يكون مصير الأرض بيد الظالمين، مهما أفسدوا.لقد يتذكر العالم تطورات الحرب الباردة بين الغرب بقيادة الولايات المتحدة الأميركية، وبين الشرق بقيادة الاتحاد السوفياتى السابق، وكيف أن الأرض صارت آنذاك على حافة حرب نووية، وذلك فى أزمة خليج الخنازير المعروفة فى عهد الرئيسين المتجبرين خروشوف وكندى فى عقد الستينات، إذ هددت الولايات المتحدة بإعلان الحرب الذرية إذا ما لم يسحب الاتحاد السوفياتى صواريخه النووية من الأراضى الكوبية؛ الأراضى التى تعتبرها الولايات المتحدة حدوداً استراتيجية وأمنيةً لها. وهناك أزمات عالمية أخرى قد لم تتابعها البشرية بصورة دقيقة، أو إنها لم تعلم بها أبداً. فيا ترى من منع وحال دون وقوع الكارثة الكبرى، لاسيما وأننا والعالم أجمع يعرف أن من يصنع مثل هذه الأسلحة المدمرة لا يمكن بحال من الأحوال ان يمتلك العقل الكافى والإرادة اللازمة لضبط النفس لدى هذه الأزمة وذلك التحدى الكبير، نظراً إلى أن الانفجارات النووية لا تعرف، أو لا تميز بين الطرف المهاجم أو الطرف المدافع، فالجميع سينتهى فى حالة اندلاع الحرب النووية.ولنضرب مثالين آخرين على حقيقة ما نذهب إليه، وهما حادثة الغواصة الروسية الغارقة فى بحر النرويج، والتى ظلت عالقة فى قاع هذا البحر، حيث يجهل الجميع سبب تعطلها وغرقها، بل ويجهل الجميع مصير الصواريخ النووية التى تقلها. أما المثل الثانى فهو تعرض المدمرة الأميركية للهجوم الانتحارى قرب ميناء عدن، وهى مدمرة نووية، كاد القارب الانتحارى أن يصطدم بها، وكادت أن تحل كارثة كبرى ومأساة عالمية لو أن القارب المذكور قد اصطدم بها، لولا أنه قد تفجر على بعد ما لا يزيد على مسافة متر ونصف المتر منه.وما بال العالم لو قرر مجنون من المجانين المسؤولين عن الأسلحة الذرية فى هذه

الدولة الكبرى أو تلك، بالضغط على أحد أزرار الرعب بداعى تخليص البشرية من عذابها وقلقها؟!!

الرحمن على العرش استوى

ولكن القرآن الذى هو رسالة الخالق الى مخلوقه الإنسان يؤكد بطلان هذا الاحتمال وخطأ هذا الاعتقاد، وأن [الرَّحْمن عَلَى العَرْشِ اسْتَوى] (طه/۵) وان الله لن يترك البشرية تحترق، بل هو الحافظ لها ليوم موعود، وهو يوم خلاص البشرية والعالم أجمع من الظلم والطغيان.ولعل قراءة دقيقة فى الآيات القرآنية الخاصة بالحديث عن الأمم السالفة، تكشف أن طواغيت الأرض كفرعون ونمرود وقارون وهامان وسلالاتهم وأتباعهم لم يموتوا الموتة الطبيعية التى يقضى لها بها على كل إنسان، وإنما قد أزيحوا وأزيلوا من عروشهم، ذلك لأن الله الرحمن كان قد أمهلهم وقدّم لهم العذر ليكون ذلك امتحاناً لهم وللناس على حدٍ سواء. ولكن تلك المهلة وذلك العذر لم يكونا أبديين، بل كان لكل اجلٍ كتاب.أما الوحشية الصهيونية التى لا تستثنى صغيراً أو كبيراً إلاّ ووجهت له رصاص الظلم والإبادة، أو هذه الهمجية التى يمارسها صدام وأعوانه ضد المواطنين فى العراق، وغيرهما من نماذج الطغيان، لا يمكن تصور خلودها أبداً، ومَن تصور ذلك فإنه سيحكم على نفسه بالفناء قبل ان يلحقه ظلم الظالمين..

الامل الصادق

لقد بشرنا القرآن وأحاديث الرسول وأهل البيت عليهم الصلاة والسلام، وبشرتنا ضرورات العقل بأنه سيأتى ذلك اليوم الذى سيظهر فيه الإمام المهدى عليه السلام حاملاً راية القرآن والرسول، وأنه سيستجيب لندائه العالم أجمع، وذلك بعد يأس الأمم والشعوب من تجاربها الفاشلة على مر التأريخ، وبعد أن وصلت إلى نقطة الصفر، فلا تجد فى الإمام الظاهر إلاّ الأمل الإلهى، وإلاّ المنقذ الأوحد الذى حفظ الله الأرض من أجله ومن أجل يومه الموعود ذاك.فجدير بنا نحن الذين نسعى الى نشر رسالة القرآن، ألا نتوقع تسليم الناس لهذه الرسالة عبر تعليمهم صلاة الليل مثلاً ثم نعدهم ونبين لهم فكرة ظهور المنقذ، بل العكس هو الصحيح. إذ لابد أن نبين للعالم بادئ بدء حقيقة البشرى القرآنية الخاصة بظهور مصداق العدل والخير والرفاه والسلام، وأن هذه البشرى تعتبر صميم المذهب الشيعى، وهى تمثل الذروة فى خط وسيرة أمير المؤمنين الإمام على وولديه الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام وسائر أئمة الخير والهدى عليهم صلوات الله وسلامه. وبهذا يكتشف العالم طريق الحق. ويلمس الناس بعقولهم وقلوبهم أحقية العقيدة الإسلامية التى تدفع بهم نحو الأمل والحياة.إن التبشير بهذا الأمل، يختلف اختلافاً جذرياً عن سائر أنواع التبشير الذى شهدته البشرية على مرّ التأريخ، فتلك الأنواع لم تكن سوى وعود كاذبة اختلقها هذا الإنسان أو ذاك لتحقيق مصالحه الشخصية، أو لتمرير ظلم الظالمين وبقائهم فى عروشهم التى يعلمون أنها خاوية وزائلة فى يوم من الأيام.ولكن هذه البشرى بظهور الإمام الحجة بن الحسن عليهما السلام لا تنفصل عن الواقع أبداً. فهى قد صدرت عن خالق البشرية والأنبياء والأئمة من جهة، وهى أيضاً ترجمة صادقة للحاجة الإنسانية والتاريخية من جهة أخرى.

قتل الخرّاصون

لقد ابتلى المؤمنون خاصة، والمسلمون عموماً بأنصاف المثقفين الذين يصبون كل جهودهم للتدخل فيما لا علم لهم به، وللتجاوز على قدّسية العلم والاختصاص، وذلك لزعزعة موقع الإيمان والإسلام فى القلوب، سواء علموا بتأثير ما يخرّصون أم لم يعلموا.فكم من صحيفة وكتاب وإذاعة وبوق إعلامى يحرض الناس على الشك بالعقيدة واليأس من التغيير والتغيّر، جاهلين بأن الشك واليأس والتشكيك والتأييس ليس إلاّ شكلاً رهيباً من أشكال الشرك والنفاق.وإذا راجعنا كتاب الله – وهو عين الحق – لوجدنا ان المستهزئين بالمؤمنين والعقيدة سوف يلقون أشد العذاب وأقسى التنكيل فى يوم القيامة؛ بل إن عذابهم سيكون أشد من عذاب

الكافرين، لأن الكافر قد يكفر ولا يهمه من آمن، ولكن المستهزئ من طبيعته الكفر والكيد والأذى. ولقد ورد فى الأحاديث الشريفة أن جزاء المستهزئ بحقائق القرآن وعقائد المؤمنين سيكون جهنم خالداً فيها أبداً، حيث يلقى فيها من مكان سحيق، ولكنه يرى فى الطرف الآخر الذى قد يبعد عنه مسيرة ألف سنة بصيصاً من نور الجنة، فتراه يعمل المستحيل للوصول إليه، مارّاً بلهب النار العملاقة وما تحويه من ناس وأجنة ووحوش وعنت وعذاب، حتى إذا وصل إليه إنطفأ دونه، وإذا بباب الجنة يغلق بوجهه، ولكنه يرى مرة أخرى بصيص نور وباباً آخر فيهرع إليهما لعلّه ينقذ نفسه أو يجد من العذاب مهرباً، فيلقى المصير نفسه، وهكذا يظل فى جهنم خالداً..أقول: سمعنا وتسمعون أكاذيب وافتراءات من يستهزئ - وبأعصاب باردة لها ما يبررها من مصالح ودوافع، كالجهل والطمع والكفر- من الحركات الإسلامية والثقافة الدينية والمقدسات، فلا يكون موقفنا منهم إلاّ التوجيه لهم أو الابتعاد عنهم والاستعاذة بالله القدير منهم فيما لو لم يثمر التوجيه أو ينفع النصح، لأنهم ليسوا إلاّ موجودات جهنّمية يحرقون كل من يقترب أو يركن إليهم. فالحذر كل الحذر منهم، ذلك أنهم آمنوا ثم كفروا وأنهم لن يضروا المؤمنين الصادقين شيئاً.إن الجدير بالإنسان المؤمن البحث عن ثقافة الأمل وإثارة الطموح والجد والاجتهاد، وهذا ما يجده فى القرآن وكلمات النبى وأهل بيته عليهم السلام.فإن كان البحث فيما يخص وجود وظهور الإمام الحجة عليه السلام، فليعلم الإنسان المؤمن ان الله قد عاب فى كتابه على من يكفر بالعقيدة الإسلامية سيرته هذه فقال: [وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُه]..؟ بمعنى أن الرسول وإن مات جسداً، ولكنه حيٌّ يرزق بين أظهر المسلمين، وذلك عبر خليفته ووصيه الذى هو القرآن الناطق، وهو الأمان لأهل الأرض، وهو الأمل التاريخى للبشرية جمعاء، وهو الإمام الحجة بن الحسن المهدى عليه السلام. ومن هنا ينبغى الاعتصام به والتسليم إليه وتوطيد العلاقة الإيجابية، لأن فى ذلك فقط ضمان طرد اليأس من القلب والسير فى طريق التقدم والازدهار.

الامام المهدى أمل الإنسانية الأكبر

ترى من لهذه القافلة الإنسانية المنحدرة باتجاه الهاوية، ومن لهذه المجتمعات البشرية التى تهوى إلى الحضيض؟إن جميع الآمال التى عُقدت على مختلف العلاجات الجزئية تبدو اليوم واهية وباطلة؛ فلقد حاولوا أن يوقفوا انحدار الإنسان ببعض التعاليم، والإرشادات الأخلاقية الفوقية، ولكنّهم فشلوا؛ وبذلوا جهودهم من أجل إيقاف عمليّات الإبادة الجماعية التى سببتها الحروب العالميّة والإقليمية المدّمرة بواسطة منظمات من مثل منظمة الأمم المتحدة، ومجلس الأمن الدولى، ومحكمة العدل الدولية، ولكنّ جهودهم هذه باءت بالفشل الذريع.ففى ظل عصبة الأمم نشبت الحرب العالمية الثانية، وفى ظل الأمم المتحدة اندلعت حروب إقليمية مدمّرة، وفى ظل مجلس الأمن الدولى احتلت قوّة كبرى كالاتحاد السوفياتى دولتين مستقلتين هما: المجر وتشيكوسلوفاكيا، وهدّدت دولة مستقلة أخرى هى بولندا بالاحتلال، ثم احتلت بلداً ثالثاً هو أفغانستان!وفى ظل مجلس الأمن الدولى أيضاً اعتدت الولايات المتحدة الاميريكية على كثير من الدول، وفى أكثر من موضع فى العالم!

اوضاع العالم تنذر بالدمار

وعلى هذا؛ فإن هذه الأنظمة، وتلك القوانين لا تستطيع أن تمنحنا ضماناً بعدم الانحدار إلى الهاوية، ففى كل دقيقة واحدة ينفق العالم أكثر من مليون دولار على أسلحة التدمير، ومن أجل أن نبيّن المخاطر الهائلة التى تحدق بالبشرية يكفينا أن نقول أن نصيب كل إنسان على هذه الأرض من أسلحة التدمير وخصوصاً مادّة ألـ(تى. أن. تى) يبلغ درجة بحيث أنه يكفى لئن يقتله خمس عشرة مليون مرّة.وهناك أيضاً الأسلحة الكيمياوية التى يكفى مائة مليون طن منها لإبادة من على سطح الأرض، علماً أن بلدان العالم المختلفة - وخصوصاً البلدان الغربية- تملك آلاف الملايين من الأطنان منهاوبناءً على ذلك؛ فإن المجتمعات البشرية تنحدر بسرعة جنونية نحو هاوية الانتحار الجماعى.والسؤال المصيرى المطروح فى هذا المجال هو: من ينقذ الإنسان من الإنسان؟

ضرورة الاعتقاد بالوحى

إن هـذا المنقذ هو إمامنا، وسـيدنا، وقائدنا الإمام الحجة بن الحسن المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشـريف.ولكى لا يبقى ثمة شك فى التسليم لهذه الحقيقة، نقول: إن من الضرورى أن يعتقد الإنسان بالوحى الذى يمثل أعظم عقيـدة يمكن أن يصل إليها الإنسان، والذى يمثـل أسـمى قمة فى الكمال الإنسانى.والوحى يعنى الاعتقاد الراسخ بوجود العلاقة بين السـماء والأرض، وأن ربّ السماوات والأرض رحيم رؤوف بعباده، وأنه وانطلاقاً من هـذه الرحمةيبعث إليهم الأنبياء والرسل ليهديهم، وينقذهم من الضـلالة..إن الإنسان الذى يعتقد بـ(الوحى) الـذى هو تجلٍ من تجليات قـدرة الله تعالى ورحمته بالإنسان، لابـد له أن يعتقـد بالإمام الحجـة عليه السـلام، لأن الذى ربط الأرض بالسـماء بفضل الوحى تأبى رحمته، ويأبى فضـله العميم على الإنسان، ويأبى لطفه أن يترك البشـرية دون رابط يربطها بالسماء بعـد وفاة خاتم الأنبياء والمرسـلين محمـد صـلى الله عليه وآله.فالأرض ومنذ أن وُجد فيها الإنسان وحتى مبعث النبى الأعظم صـلى الله عليه وآله لم تخلُ من حجّة إلهية، فكيف يترك الله جلّت أسماؤه، هذه الأرض من غير حجة، وهل كانت البشرية فى السابق أقرب إليه تعالى لكى يبعث لها مائة وأربعـة وعشـرين ألف نبى عدا الأوصيـاء وثم يتركنا بعد وفاة النبى محمد صلى الله عليه وآله دون أن تكون له حجة عليها؟

الايمان بامتداد الوحى

إنّ الإنسان الـذى يعتقد بالوحى لابد أن يؤمن أيضاً بامتداد هذا الوحى المتمثل فى الأئمة عليهم السـلام، وانّ هذا الامتداد يتجسد، بل يرتفع، وينمو حتى يصل إلى قمته، وإلى ذروة امتـداد الرسالة الإسـلامية المتمثلة فى الإمام الحجة المنتظر عجل الله تعالى فرجه.إن مثل هـذه الفلسـفة يطول شـرحها، وتبيانها، وأنا أريـد فى هذا الفصل أن اقتبس من هذا النور حزمة ضوء تنفعنا فى حياتنا، وتنير لنا الدروب المظلمة خصوصاً وأننا نمثل مجتمعات جريحة مستضعفة.

كيف نكرس الأمل فى نفوسنا؟

إننا بحاجة إلى أن نسـتوحى من فلسفة وجود الإمام الحجة عليه السلام فكرة مهمة لنرى هل نجد فى اعتقادنا بالإمام المنتظر الأمنية، أو النقص الـذى نعـانى منه.إن من طبيعـة الإنسان أنه يميل إلى اليأس من الحياة، والطغاة يحاولون دوماً تكريس هـذه الصـفة فى الإنسان، فهم يوحون لـه بشـكل مسـتمر بـأنه موجود تافه لا قيمـة له.وفى المقابل فإن أنبياء ورسل الله جل وعلا يحاولون دائماً أن يزرعوا الأمل فى قلب الإنسان، فيؤكـدوا لـه أنه مخلوق ذو كرامة، وأنه عظيم عند الله وأنه أكرم الكائنات، وأن الله قد خلقـه فى أحسن تقويم، وهذه المفردة هى من جملـة البنود الرئيسـية فى رسالات الأنبياء عليهم السـلام، فى حين أن تكريس اليأس والقنوط هو من جملة المخططات الرئيسية فى سياسات الطغاة.ترى كيف نستطيع أن نحمل الأمل، وان لا يحيط بنا اليأس، خصوصاً وأن الظروف المحيطة بنا تدعونا كلها إلى السقوط فى مستنقع اليأس، والشعور القاتل بالقنوط والإحباط؟للجواب على هذا التساؤل نقول: إن الإنسان المسلم المعتقد بالوحى يـدرك أن وراء هذه الظواهر المادية، والعوامل المؤثرة فى الظروف غيباً يجعل الأمور لا تجرى كلها حسب الظواهر.صـحيح أن الطغاة يتحكمون بالمستضـعفين، ويسومونهم سوء العـذاب، ولكن هـل من المعقول أن يـترك الإمـام الحجـة هـذه البشـرية المعذّبـة دون أن يتـدخل فى الأمور لصالـح هؤلاء المستضـعفين؟ فـأين رحمـة الله -إذن- وأين فضـله؟إننـا مطمئنون لرحمته تعالى، وواثقون من لطفه وفضـله، ولـذلك فإن اليأس لا يمكن أن يـداخل قلوبنا، ولا يمكن أن يسـتبدّ بنا. فنحن نرجو، وعنـدما نرجو نتحرك، وعندما نتحرك نصل إلى بغيتنا، لأن الله عز وجل يقول: [وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى ، وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى].

حاجتنا إلى الأمل

وهكذا فإننا الآن بحاجة إلى الأمل، وهذا الأمل ينبعث من إيماننا بالإمام المنتظر عجل الله فرجه، وأن ما يجرى حولنا من أحداث ليست بعيدة عن علم الإمام وإشرافه، بالإضافة إلى أن هناك ليلة القدر، حيث يتنزّل الروح من السماء مع الملائكة الآخرين ليعرضوا على إمام عصرنا صحيفة أعمال كل واحد منا. وإلى هذا المعنى يشير قوله تعالى: [وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُون] وهذا ما يهدينا إلى ان الإمام المهدى عليه السلام ناظر على أعمالنا، سواء كانت حسنة أو سيئة، ولا ريب انه عليه السلام يسر بعمل الحسنات، وينزعج من عمل السيئات.وليس من باب الصدفة أن تهبط علينا النفحات الإلهية، ويشملنا الله تعالى بألطافه بين الحين والآخر، فهناك مكونات نفسية وعقائد امتزجت بدماء المسلمين، ومن ضمن هذه العقائد الإيمان بضرورة وحتمية ظهور الإمام المهدى المنتظر عجل الله فرجه، وأنا شخصياً يغمرنى الاعتقاد الراسخ والإيمان العميق بأن عُقد مكارهنا ستحل من خلال هذه المعتقدات، ذلك لأن العقد النفسية للإنسان وما يعانى منه من حالات سلبية يقف فى مقدمتها اليأس والقنوط ستحل، لأنه سيتفجر أملاً ووعياً. ومن يتحلى بهذه الصفات سيصل لا محالة إلى غاياته بإذن الله.

اليوم الموعود؛ أمل البشرية و وقود مسيرتها

تعج مسيرة البشرية بمنعطفات كثيرة وخطيرة حتى تكاد النفوس تتلبد بسحب اليأس وغيوم التشاؤم، هذا التشاؤم وذلك اليأس اللذان بدءا يهيمنان عليها؛ فبات الكمد يقتلها، والضغينة والبغضاء يحيطان بها من كل جانب.كما إن الإنسانية قد عميت عن حقيقة وجودها، وسرّ قدومها إلى الحياة الدنيا واستقرارها على هذه الأرض. فالهدف الحقيقى والغاية النهائية ليست الأعمار أو البحث عن أسباب السعادة والراحة فحسب، بل لابد أن تجتاز هذه الأهداف الثانوية المحدودة إلى الهدف الأسمى والأعلى،إلى تلك المحطة الأبدية الرحيبة، حيث رضوان الله تبارك وتعالى، وحيث فسيح جناته ونعيمه الأبدى.

منعطفات خطيرة

وقد جعلت المنعطفات الخطيرة، البشرية فى أوضاع مظلمة ورهيبة، فمن خلال قراءة سريعة لتأريخها الملىء بالمآسى والعذاب والويلات، نلمح أكثر من طاغية وأكثر من مستبد وجلاد دموى. وهذه الويلات لم تقتصر على نيرون واحد، ولا هولاكو، أو هتلر أو موسولينى واحد، بل إن تأريخ البشرية شهد حروباً، وصراعات جمّة كانت فى حد ذاتها تجسّد المأسات والآلام والدمار التى نزلت على البشرية طيلة تأريخها الطويل، فيما كانت أعداد الضحايا فى تصاعد وارتفاع حتى بلغت عشرات الملايين بسبب ما ارتكبه أولئك الطغاة من جرائم فظيعة وممارسات رهيبة.وأما الوجود الحضارى فقد بات طيلة العصور طعمة الدمار الذى كان يصبّه طغاة التاريخ، وفى هذا المجال يحدثنا بعض مؤرخى التاريخ اليونانى القديم أنّ الإمبراطور الطاغية (نيرون) كان هو وزوجته يجلسان على شرفة قصرهما، ويتفرّجان على مدينة روما كيف تحترق وتلتهمها النيران، فيما كانا يضحكان ويقهقهان بصوت عال، ساخرين ومستهزئين بالأرواح التى كانت تُزهق فى تلك اللحظات الرهيبة.إن التاريخ يحدثنا فى صفحاته السوداء الملطخة بالدماء عن مدن وحضارات كانت عامرة زاهرة فى الليل، فما أصبح عليها الصبح حتى تحولت إلى ركام وأنقاض يتصاعد منهما الدخان وألسنة اللهب؛ ومثال ذلك ما نتج عن الحرب العالمية الثانية حين قدرت الإحصاءات ضحايا هذه الحرب القذرة المدمّرة بستين مليون إنسان، ناهيك عن الأعداد الهائلة من المشردين والمعوّقين والخسائر والأضرار المادية التى لا يمكن لأحد أن يعدّها، وإن عدّت فهى تبلغ آلاف المليارات من الدولارات!

شحنة الأمل و التفاؤل

ولكى لا يلين عزم الإنسان ولا تتوقف حركته التكاملية فى هذه الحياة بفعل اليأس والتشاؤم وبسبب تلك المنعطفات الخطيرة. ومن أجل أن يمضى إلى الأمام باستمرار، لابد أن يحدوه الأمل، وتغمر نفسه الثقة بحلول المستقبل الزاهر المشرق الذى تنعدم فيه تلك الويلات والمآسى، وترفرف راية العدل على ربوع العالم، وينتهى عهد الظلم والاعتداء ونهب الثروات، والاعتداء على الحقوق والكرامة الإنسانية.والسبب فى ذلك أن الإنسان الذى يتغلّب عليه اليأس ويستولى على كيانه، يصبح عاجزاً تماماً عن إنجاز أى عمل، وعن تحقيق أى هدف سام، بل إنه لا يستطيع أن يقدّم شيئاً، ويتقدم به على طريق ذلك الهدف، فاليأس هو قرين الانتحار، والإنسان اليائس هو الذى أمات نفسه بيديه قبل أن يموت على يد الآخرين، أو يموت موته الطبيعية.

امل البشرية

وبناءً على ذلك؛ يطرح السؤال المهم التالى نفسه فى هذا المجال: ترى ما هو الأمل الذى يجعل البشرية تتحرك وتنساب إلى الامام، نابذة وراءها حجب اليأس وسحابات القنوط؟إن هذا الأمل يتلخص -من منظورنا الإسلامى الأصيل- فى أن الله تقدست أسماؤه قطع لبنى الإنسان عهداً ووعداً صادقين لا سبيل إلى التراجع عنهما، يتمثلان، فى أن مسيرتهم لابد لها من أن تنتهى إلى السعادة الحقيقية واستتباب العدل والقسط بين الناس.ونحن نجد هذا الوعد الإلهى مدوناً بصراحة ووضوح لا سبيل الى الشك فيه؛ فى التاريخ، وبالتحديد فى الكتب والرسالات السماوية بلا استثناء، وقد أكدت عليه بالخصوص الرسالة الإسلامية، وصاحبها سيدنا وحبيب قلوبنا محمد صلى الله عليه وآله، حيث نقرأ فى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، وتلك التى رويت عن الأئمة الأطهار عليهم السلام، التأكيد المتواصل والمستمر على هذه الحقيقة، كقول الله تعالى: [وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ]وكقول النبى صلى الله عليه وآله فى حديثه المعروف": لو لم يبق من الدنيا إلا ليلة لطوّل الله تلك الليلة حتى يملك رجل من أهل بيتى يواطئ اسمه اسمى واسم أبيه اسم ابى يملأها قسطاً وعدلا كما ملئت ظلماً وجورا... [۲] .

سنة لابد منها

وهكذا فإن الرسول صلى الله عليه وآله يريد من خلال بياناته الشريفة فى هذا الحديث أن يؤكد لنا أن سنة ظهور الإمام، وتحقق العدالة الإلهية، وامتلاء الأرض بالقسط والعدل. كلّ ذلك إنما يمثل سنة ثابتة لا يمكن أن تتغير، ولابد لها من أن تتحقق وتقع، وإن تطلّب ذلك واستوجب حدوث تغيير فى طبيعة الكون؛ كأن يطول اليوم الأخير من الحياة الدنيا، ويمتد إلى اكثر مما هو مألوف، وهو الأربع والعشرون ساعة.فالرسول صلى الله عليه وآله يريد التأكيد هنا بقوة وشدّة على هذه الحقيقة الكبرى، وعلى تحقق ذلك الأمل المنشود من قبل جميع الرسالات الإلهية، ومن قبل جميع الأمم والشعوب، فالله سبحانه وتعالى لابد من أن يظهر مهدى هذه الأمة، وإن استلزم هذا الظهور تغيير السنن الطبيعية فى الكون، نظراً إلى أهمية هذا الظهور وإلى كونه يمثل السنة الكبرى التى تفوق أهميتها سائر السنن فى الكون.

البشرية فى الانتظار

وبالطبع؛ فإن الحديث الشريف لا يعنى أنه سيبقى يوم واحد من عمر هذه الدنيا، ثم يطوّل الله تعالى هذا اليوم، بل إنه بصدد بيان الأهمية الفائقة التى يتمتع بها هذا الحدث العظيم، وكونه من الحتميات التى لابد من حدوثها، لأنه يمثل حقيقة ثابتة خلقت من أجلها البشرية، حيث أن هذه البشرية المنهكة المعذبة التى عانت الأمرّين من نزوات حكّامها وطغاتها، وقاست الويلات والمآسى والمحن بفعل شهوات طغاتها، تنتظر على أحرّ من الجمر هذا اليوم الموعود الذى ستذوق فى ظله الطعم الحقيقى للسعادة، حيث سيظهر الإمام المهدى عجل الله فرجه، ومن بعده عيسى بن مريم عليه السلام الذى سيبادر إلى الائتمام بالإمام المنتظر، والصلاة خلفه، ليدفع أهل

الأديان وأصحاب الشرائع السماوية الأخرى إلى الإيمان بالإمام واتباعه، والدخول فى الدين الإسلامى الذى سيجمع الديانات جميعاً، ويوحد تحت رايته التوحيدية جميع القوميات والطوائف البشرية بجميع ميولها وانتماءاتها الدينية والقومية، ليحكم الكرة الأرضية دين واحد، هو الدين الذى جاء به نبينا الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وأحياه ولده الإمام المهدى عجل الله فرجه.وإننا لنلمس اليوم من خلال الحركة الراهنة للبشرية أنها كلما خطت خطوة الى الأمام، كلما اقتربت من حالة الاندماج، والاتحاد والتلاحم بين مختلف فئاتها وقومياتها وأقاليمها، وهذا دليل على أن ما أكده الرسول صلى الله عليه وآله فى أحاديثه الشريفة بخصوص الفرج إنما هو الحق الصريح الصادق والوعد الذى لابد أن يتحقق. فمسيرة البشرية متجهة لا محالة باتجاه ذلك اليوم الموعود بإذن الله تعالى.

انتظار الفرج افضل الأعمال

الحديث عن الإمام الحجة عجل الله فرجه، حديث عذب ذو شجون، ولذلك سأحاول مراعاة الاختصار والإيجاز ما أمكننى ذلك، واستلال ما أستطيع استلاله من عبر ودروس من مجمل ماله صلة بواقعنا ومواقفنا وسلوكياتنا فى حياتنا المعاصرة.

علاقة الانتظار بواقعنا

وسأبدأ بحثى هذا بطرح سؤال فى غاية الأهمية، وهو: ما هى علاقة الانتظار وفكرته والعقيدة به، وإيماننا بالإمام الحجة المنتظر بواقعنا المتدهور الذى نعيشه فى عالمنا الإسلامى، وهل باستطاعتنا الاستفادة من هذه الفكرة والعقيدة والبصيرة الإلهية لكى نغيّر بها واقعنا السيء الى واقع افضل، وكيف السبيل إلى هذا التغيير؟قبل الإجابة على هذا التساؤل المهم والحساس لابد ان نضرب مثلاً من واقع رجل لم يكن يمتلك بيتاً، فسعى وجهد من اجل ان يكون له ذلك، وجهد فى توظيف كل إمكانياته وطاقاته المادية والمعنوية من اجل اقتناء البيت كأن يشتريه جاهزاً أو يبنيه؛ وهكذا الحال بالنسبة إلى الذى يريد أن يبنى حياة زوجية فإننا سنجده يحاول ان يختصر الزمن والمسافة فى سبيل توظيف كل ما يملك من رصيد اجتماعى واقتصادى فى سبيل تحقيق طموحه فى إقامة حياته الزوجية التى يطمح إليها.وإذا كان الأمر يتطلّب كل هذا البذل والمجهود والسعى من اجل بناء بيت أو حياة زوجية، فما بالك بمن يريد تحرير بلده أو إنقاذ أمته او خلاص شعبه، أليست القضية اخطر واهم من ذلك؟ولذلك فان على مثل هذا الإنسان او الجماعة او الأمة إن أرادوا تحقيق أهداف كهذه الأهداف العظيمة، أن يختصروا هم أيضاً كل مسافة بعيدة تحول بينهم وبين مرامهم، وان يبذلوا كل ما يملكون، ويجهدوا أنفسهم ما استطاعوا لكى يبلغوا تلك الأهداف المتمثلة فى بناء وطن شامخ يليق بمكانتهم ومنزلتهم.ونحن اليوم فى هذا الزمن المصيرى الذى نعيش فيه صراعاً مريراً، ومعركة الموت والحياة مع الأنظمة الطاغوتية، فإن قضيتنا عظيمة ومهمة للغاية، وأن أولئك الذين يستهينون بها إنما يحتقرون أنفسهم – من حيث لا يشعرون– ويستهينون بكرامتهم وتاريخهم وقيمهم.

ازمة الأنظمة الطاغوتية

ان قضية هذه الأنظمة الطاغوتية ليست بالقضية الهينة، ولذلك لابد لنا فى مواجهتها من استخدام كل عناصر قوتنا، وجميع إمكانياتنا، ولعل أبرزها جميعاً وأكثرها قوة، تلك القوة الكامنة فى عقيدة (انتظار الفرج) التى هى إحدى ابرز عقائدنا.فلولا هذا الأمل الذى تلوح اشراقته على آفاق الزمن، ولولا ـ ومضة النور التى أوجدها هذا الأمل فى قلوبنا رغم ما عانيناه ونعانيه من عصور الاضطهاد والقمع والآلام وما فيها من ظلام حالك يبعث على اليأس والإحباط المحدقين، لكان الانهيار والزوال من نصيب وجودنا وهويتنا، ولكن الله تبارك وتعالى شاء لنا الامتداد والبقاء بنور بقيته فى الأرضين كما يقول – عز من قائل–: [بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ].فالظلم والإرهاب والاضطهاد الذى لحق بنا، لو كان نزل على الجبال لهدّها ولانصهرت منه زبر الحديد وعلينا ان لا نظن ان العالم يغفل سرّ قوتنا، بل ان الأحداث – التى نعيشها اليوم وفى التاريخ– أضحت محور تساؤل الغرب وغيرهم عن سرّ هذه القوة.وأنا اذكر فى هذا

المجال انّ أحد الصحفيين الفرنسيين التفت إلى الظاهرة الثورية التى نمتاز بها نحن الشيعة فى تحركنا وعملنا الجهادى، فسألنى عن السبب أو السر الذى جعل الشيعة مستقيمين وصامدين رغم مالاقوه من قبل الأنظمة الطاغية من قهر وقتل وتغريب ومطاردة؟ فأجبته على سؤاله هذا قائلاً: إننا -نحن الشيعة- أهل توكل على الله تعالى، وأمل بالمستقبل.

انتظار الفرج افضل الأعمال

أن تاريخ الشيعة هو تاريخ العطاء والتضحيات الجسام، وتاريخ الآلام والمعاناة والمطاردة، والسجون، انه تاريخ الإمام الحسين والإمام موسى ابن جعفر عليهم السلام؛ ومع ذلك كلّه لم نتحطم، ولم نستسلم لليأس، بل ازددنا رغم قوة الدمار تألقاً وصلابة وقوة وإظهاراً لحقّنا وحقوقنا المهدورة المغصوبة.. وكل ذلك يعود الفضل فيه إلى ذلك الأمل العظيم الذى كان الطاقة التى حركت عجلة مسيرتنا فى التاريخ؛ أنه انتظار الفرج، الذى قال عنه رسول الله صلى الله عليه وآله": افضل أعمال أمتى انتظار الفرج."ونحن كلما عمّقنا هذه الفلسفة الإيمانية الحقة فى الأجيال المتلاحقة من أبنائنا وأحفادنا، استطعنا أن نصل إلى الأهداف المرجوة، والغايات المنشودة. والذى يذهب منّا إلى الشك فى هذه العقيدة الراسخة بسبب وطأة البلاء، والمصائب الشديدة القاسية التى تبعث على اليأس، فان مثله كمثل الذى يجلس على غصن شجرة ثم ينشر جذعها بمنشار، فهو سرعان ما يهوى إلى الأرض.أن كياننا قائم على مجموعة من الركائز القوية المتينة، من أبرزها هذه العقيدة الراسخة فى قلوبنا؛ أى فكرة ظهور الإمام المهدى عجل الله فرجه، وليس هناك فوق هذا الكوكب الذى نحيا عليه ورغم ما تزدحم وتتصارع فيه آلاف الأديان والمذاهب، بالإضافة إلى الأفكار والمبادئ والنظريات والفلسفات العديدة المنتشرة هنا وهناك؛ أقول ليس هناك دين أو مذهب أو مبدأ واحد يقول أن العلاقة بين الأرض والسماء، أو بعبارة أخرى؛ بين الإنسان وخالقه هى علاقة مستمرة كما هى عقيدة الشيعة، فنحن نؤمن باستمرار ودوام هذه العلاقة بين الإنسان وبارئه، ولا نرى انقطاعها كما هو الحال لدى اتباع المذاهب الإسلامية الأخرى، حيث يقولون إنها انقطعت بوفاة النبى صلى الله عليه وآله وانقطاع الوحى، ولا يعترفون بوجود إنسان يحيى على هذه الأرض ذى صلة بالله سبحانه، إلا أنه ليس بنبىّ.

عقيدتنا بالمهدى سرّ قوتنا

أما الشيعة فانهم يعتقدون اعتقاداً راسخاً، ويؤمنون تمام الإيمان بوجود هذا الإنسان الغيبى الإلهى الذى ينزل عليه الروح الأعظم فى ليلة القدر التى هى خير من ألف شهر.والروح الأعظم هذا هو كيان اعظم من الملائكة، ومن جبريل وميكال، ينزل على الحجة عليه السلام، وهذا هو فخرنا وعزنا، وفيه تكمن قوتنا، وصلابة عقيدتنا، وسلاحنا الفاعل فى معركتنا، وصراعنا ضد الباطل وأهله مهما اختلفت أشكاله وألوانه، ووقوفنا بوجه أهل الظلم والجور والفساد فى الأرض. وهل من الممكن أن يتخلى المقاتل عن سلاحه فى الميدان حتى نتخلى نحن الشيعة عن عقيدتنا هذه وسلاحنا وقوتنا التى لا تنضب؟ومن هنا أرى إننا لابد من ان نوظف ما أمكننا من إيماننا، وعقيدتنا هذه بالإمام المهدى عليه السلام، فى مقارعتنا، وصراعنا الطويل مع قوى الظلم والفساد والطغيان، ولابد من ان نزداد استلهاماً من إيماننا به عليه السلام وانتظار فرجه فى صراعنا الحضارى، وذلك بأن نربط القضية التاريخية أو القضية العقائدية بقضايانا الراهنة التى نشهدها.

اهمية الأمل و التفاؤل

ويا حبذا لو أكد المفكرون والأدباء وأصحاب الأقلام فى مقالاتهم ونتاجاتهم الأدبية الفكرية والثقافية على قضية منح الأمل، وتعزيز ثقة الناس به بأن يبينوا أهمية الانتظار، والآثار العظيمة بل والبركات والخيرات التى تنهمر علينا بفضل دعاء الإمام عليه السلام لنا، ثم يتناولوا بالبحث والدراسة والبيان الواضح قضية الظهور، ودورنا نحن فى التمهيد، والتعجيل لهذا الظهور. فلماذا هذا التخوّف والتردد وعدم الاهتمام فى بيان قضية الإمام وانتظاره وظهوره من أقوال المتقولين، وسخرية الساخرين الذين لا يؤمنون بالإمام المهدى؟ أليس

هـذا التخوّف والتردد دليلاً على ضـعف العقيـدة به عليه السـلام؟ علماً ان هـذا الضـعف لربما يخلّ بمجمل الكيان العقائدى؟فلنوضـح عقيـدتنا ونتحـدث عنهـا بكـل صـراحة ليكون النـاس على علم بها، كما يقول الله تعالى فى محكم كتابه الكريم: [وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا].

فكرة الانتظار ترعب المستكبرين

أن هذه العقيدة التى يسـخر منّا بسـبها بعض طوائف المسـلمين لجهلهم، باتت تؤرق أعداء المسـلمين من الصهاينة والمستكبرين الذين يحسـبون لها منـذ الآن ألف حساب وحساب، ويعـدون العـدة لمواجهـة صاحب لواء الخلاص، والمنقذ العظيم الذى سيقضـى بظهوره المبارك عليهم، وعلى كفرهم وضـلالهم وفسادهم فى الأرض.وتأسـيساً على ما سـبق فلنعّمق هذه الروحية، ونعززها فى أعماق أولادنا وأجيالنا القادمـة، ولنقرأ المهـدى عجل الله فرجه السـلام فى كل صـباح ومساء، ولنـدع له. ففى هـذا الـدعاء، وتلك التحية كل البركة والخير، ولنجـدد العهـد معه كل يوم وإن طالت، وتعقّدت مشاغلنا الحياتية، ولنبايعه فى كل يوم جمعة عندما نقرأ دعاء الندبة قائلين": اين معزّ الأوليـاء ومـذّل الأعـداء، أين قاصم شوكـة المعتـدين؟"فهـذا الـدعاء وغيره من شأنه ان يعزز علاقتنا به عجل الله فرجه، ويعمق إيماننا بالانتظار ونعطى مفهومه حقه، من التجسيد العملى المتمثل فى العمل على تربية نفوسنا اولاً، ثم المبادرة الى تغيير الواقع الفاسد.

فى انتظار الامام المهدى

الابعاد الحياتية للعقيدة بالإمام المهدى

«قُـلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَـدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ ، وَعَـدَ اللَّهُ الَّذِيـنَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَـاتِ لَيَسْـتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الاَرْضِ كَمَـا اسْـتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُـمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَـى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِى لاَ يُشْـرِكُونَ بِى شَـيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ، وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ، لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِى الاَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ» (النور / ۵۴-۵۷)من المناسـبات والأحـداث العظيمـة التى يجب على كـل مؤمن ومسـلم، وعلى وجه الخصوص الاـخوة المؤمنون الرسـاليون الـذين يشـكلون طليعة المجتمع والأمة، الاسـتفادة القصوى منها واسـتخلاص الدروس والعبر والوعى المسؤول من وحيها؛ مناسبة ليلة النصف من شعبان، حيث ولادة النور الإلهى المحمدى، ولادة إمامنا الحجة بن الحسن عجل الله فرجه، فزاد هذه الليلة كرامة الى كرامتها، وهذا الشهر شرفا وعظمة إلى شرفه وعظمته.

بصائر المعرفة بالامامة و الإمام

فمناسبة شريفة كريمة تتمثل بميلاد خاتم الأوصياء وإمام العصر والشفيع الذى لا يزال ناظرا ورقيباً، سيدنا وإمامنا المهدى المنتظر عجل الله فرجه وجعلنا من أنصاره وأعوانه؛ مناسبة كهـذه لابـد أن تكون محطة تزود وانطلاق للمؤمنين الرساليين، وحافزا قويا للتقدم والقفز الى الأمام على طريق التطور الإيجابى، والانبعاث المتواصل من عمق الأمل والطموح الرسالى المستمد من وجود الإمام عجل الله فرجه، ونبذ السـكون والانفلات من قوقعة الجمود.. وذلك عن طريق أكثر من رؤية وبصـيرة إيمانية يجب أن نستفيدها من هذا البحر الزاخر، والفيض الإلهى المتدفق.فلو عرف الإنسان مستوى درجة الإمامة، والمقام الأرفع والأسمى لها؛ ولو عرف أن الإمام والامامة هى الدرجة التى تسـبق والتى تلحق درجـة النبوة. فإبراهيم عليه السـلام كان نبياً ورسولاً من أولى العزم حينما امتحنه الله سـبحانه بأشـد الامتحانات؛ بـالنيران التى القى فيها فصبر وسـلم لله تعالى. بالهجرة، حيث ترك زوجته وطفله الرضـيع عنـد البيت الحرام اذ لا ماء ولا زرع وسـكن،

وبأمره أن يذبح ابنه بيده، وغيرها من الابتلاءات العظيمة. هنالك فقط وبعد أن اجتاز إبراهيم عليه السلام كل الامتحانات، جعله الله سبحانه إماما «وإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَاَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَتِى قَالَ لاَ يَنالُ عَهدِى الظَّالِمِينَ».فإذا عرفنا هذه الحقيقة، وعرفنا أن مولانا المهدى عجل الله فرجه هو إمام، أى انه فى هذا المستوى العظيم والدرجة الرفيعة، وأنه حى يتعايش معنا ويرانا من حيث لا نراه، وأنه مطلع على أحوالنا ويراقب صفحات أعمالنا التى تعرض عليه يومياً، وأننا بحاجة ماسة إليه، لبركاته ونوره وحبه و.. ليشفع لنا ذنوبنا ولنهتدى به جادة الحق والصواب ويوحدنا وينقذنا من صحراء التيه والضياع، من الانكسار والذلة، إذا عرفنا ذلك، فلابد ان نستفيد من هذه المعرفة عدة بصائر، ولنتساءل عن كيفية إقامة علاقة حقيقية تربطنا بالإمام عجل الله فرجه، وكيف نمتن هذه العلاقة؟ وهل أن الحجة عليه السلام هو الذى لا يريد إقامة مثل هذه العلاقة معنا أم أننا نحن الذين لا نريد ولا نسعى إليها؟فى هذا الجانب ينقل أحد العلماء أنه وبينما كان يشتغل بالتدريس فى النجف الاشرف إذ جاءه رجل من أهل القرى البعيدة وطلب الدراسة من اليوم التالى. وفى أحد الأيام صادف أن فقد العالم خاتمه، ففتش كل زوايا بيته فلم يعثر عليه، فأصبح مغموما لأنه كان متعلقا بهذا الخاتم، ولكنه عندما حضر لإلقاء أحد الدروس على طلبته قام ذلك الطالب الجديد فقال له: ياسيدنا، إن خاتمك موجود فى غرفتك، وفى الموضع الفلانى بالتحديد فتعجب العالم من معرفة الطالب بأمر خاتمه، ومعرفته بالمكان الموجود فيه بالتحديد، الا أنه كتم عجبه وذهب إلى بيته فرأى الخاتم هنالك فى الغرفة كما أخبره الطالب ومرت الأيام والليالى فحدث أن أضاع العالم شيئاً معيناً فى بيته أيضاً، فحدثت مشادة بينه وبين زوجته بسبب ذلك، وكما فى المرة الأولى جاء السيد العالم الى مكان الدرس، فإذا بنفس الطالب يقول له: بأن الشىء الذى فقدته هو فى المكان الكذائى من بيتك. وبعد انتهاء الدرس ذهب العالم إلى البيت فوجد ما أضاعه فى نفس المكان الذى أخبره عنه ذلك الرجل. يقول هذا الفقيه: بأننى كنت فى غاية العجب من أمر هذا الرجل، فأنا متأكد بان لا أحد يعلم بأننى أضعت ما أضعت، كما أنى فتشت بيتى مراراً فلم أعثر على ما فقدته قبل أن يخبرنى هو بذلك، فذهبت اليه وقلت: يا أخى من أين تأتى بهذه الأخبار العجيبة؟ فقال لى: أنا أيضا لا أعرف، ولكنه أحد أصحابى أراه فى الشارع واسلم عليه، هو الذى أخبرنى بذلك. يقول العالم: فشكرته وطلبت منه إذا ما رأى ذلك الشخص ثانية أن يقول له بأن السيد (العالم) يريد أن يصل بخدمتك، فجاءنى فى اليوم التالى وقال: بانه نقل رغبة السيد لصاحبه فرد عليه بالقول: قل للسيد أن يصبح آدميا حتى أصل أنا بخدمته!وينقل السيد الفقيه أنه سأل الطالب عمن يكون وما هى قصته وأعماله وسلوكه الذى أوصله الى هذه الدرجة، بحيث أصبح يلتقى بالإمام الحجة عجل الله فرجه، فذكر له بأنه أحد أبناء شيوخ العشائر، وأن والده رجل يفعل المنكرات من قتل ونهب و..، وأنه (أى الابن) ينكر أفعال والده ولكنه لا يملك القدرة على مقاومته. وبعد أن مات والده فى إحدى الليالى كان منصب رئاسة العشيرة سينتقل إليه حسب العادات والتقاليد العشائرية فى مثل هذه الحالة، ولأنه يخشى أن يكون مثل والده إن هو تسلم المنصب فيقوم بفعل المنكرات والمحرمات، بقى تلك الليلة يفكر حتى الصباح ويخير نفسه بين الدنيا والآخرة، فقرر فى نهاية الأمر أن يترك عشيرته وبيته ويهرب من هذه المسؤولية الى النجف الأشرف ليكون طالباً للعلم عند هذا العالم. لقد فرّ هذا الرجل الصالح من الرئاسة المنكرة، ومن حطام الدنيا الفانى؛ فر بدينه وأخذ يرى الإمام المهدى عجل الله فرجه «تِلْكَ الدَّارُ الاَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِى الاَرْضِ وَلاَ فَسَاداً»

توثيق عرى العلاقة بالإمام المنتظر

نعم؛ إن الإمام موجود معنا وقريب منا، ولكن الأعمال السيئة والمنكرات هى التى تحجب أبصارنا عن رؤيته، وتسد أسماعنا عن سماع كلامه، وسماع جوابه عندما نزوره ونسلم عليه مثلاً، وكذلك جميع الأئمة الأطهار عليهم السلام. وإن الله سبحانه قريب منا، أقرب مما نتصوره بعقولنا الغافلة وأحاسيسنا المحدودة. «وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ»، وكما يقول الإمام السجاد عليه السلام فى دعائه. "وإنك لا تحتجب عن خلقك إلا أن تحجبهم الأعمال دونك. [" ۳] فهو تعالى ليس ببعيد عنا، ولكننا نحن البعيدون عنه سبحانه

نتيجة لسوء أعمالنا..إذن؛ فالإمام عجل الله فرجه موجود معنا، والواجب أن نصلح أنفسنا لنشعر بوجوده ونعمق علاقتنا به، بل قد نحظى بشرف رؤيته واللقاء به فى بعض الأوقات والأماكن، فذلك شىء ممكن بإذن الله تعالى. ولكن كيف يمكننا أن نصلح أنفسنا ونزيد من ارتباطنا وحرارة علاقتنا به عجل الله فرجه؟هناك عدة خطوات يمكن أن نقوم بها فى هذا السبيل، وهى خطوات بإمكان كل شخص منا القيام بها بتوفيق الله له، وبلا صعوبات وتعقيد، إذا ما صمّمنا وامتلكنا الإرادة الإيمانية لذلك، منها:١- زيارة الإمام عجل الله فرجه والسلام عليه بعد الانتهاء من أداء صلاة الصبح، ولو بجملة واحدة هى: السلام عليك يا مولاى يا صاحب الزمان.٢- كذلك وبعد الفراغ من كل صلاة، وكما ندعوا لأنفسنا وآبائنا وأمهاتنا وإخواننا المؤمنين، لابد من الدعاء للإمام عليه السلام ولو بقدر قليل من الأدعية الكثيرة المعروفة فى هذا الخصوص.٣- وحتى عند تجمعنا وجلوسنا للحديث والتشاور و..، يجب أن يكون دعاؤنا للإمام والتطرق الى ذكره ولو بعد الانتهاء من أحاديثنا الخاصة؛ فهو أيضا عجل الله فرجه ذاكر من يذكره، وداع لمن دعا له.۴- تخصيص يوم واحد فى الأسبوع، وبالذات يوم الجمعة لقراءة الأدعية والزيارات الخاصة بالإمام، كدعاء الندبة، ودعاء العهد، وإحدى الزيارات الخاصة به.۵- وحتى فى مشاكلنا والأزمات التى نواجهها يوميا، والأحداث المفاجئة التى قد نتعرض لها فنتضايق منها.. فإن من الجميل والواجب أن ندعو الله سبحانه ببركة الإمام الحجة أن ييسر لنا أمورنا ويقضى حوائجنا.إن كل ذلك وغيره من الخطوات الإيجابية المطلوبة، يجعلنا نعايش حضور الإمام عجل الله فرجه ونكوّن معه علاقة صميمية. ومرحلة بعد مرحلة، ودرجة بعد أخرى، سنجد أن نورانية الإمام الشريفة المباركة ستجذبنا إليها وتأخذ بأيدينا وتدفعنا الى الإمام، وقد نحظى فى يوم ما بلقائه والتزود من فيض نور وجوده وبركته. فنحن كما ندعو له ونسلم عليه ونزوره و..، فهو أيضا يفعل ذلك تجاهنا، وبذلك نبنى علاقتنا به وتستمر هذه العلاقة وتنمو وتتكامل.

العقيدة بالإمام الحجة

إن العقيدة بالإمام المهدى عجل الله فرجه يجب أن تخلق تطوراً فى حياتنا، ولكن كيف نستفيد من هذه العقيدة لتحقيق ذلك؟لقد جاءت سورة (النور) لتنظيم العلاقات فى المجتمع، وبين الأسرة الواحدة بالذات، حيث يأتى الحديث فى بدايتها عن المجتمع والعلاقات الاجتماعية والمعالجات والعقوبات للمفاسد التى تطرؤ على هذه العلاقات.. «سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» كذلك تأتى فيها آيات حول الاستخلاف فى الأرض «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الأَرْضِ» وفيها أيضا حديث عن بيت النبوة «فِى بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ»فما هى العلاقة بين قضية النبوة والإمامة من جهة، وبين العلاقات الاجتماعية من جهة أخرى؟أن الإنسان عندما يريد أن يحسن أخلاقه وسلوكه وعلاقاته وطريقة معاملته مع الآخرين، فلابد أن يكون لديه برنامج ما ليسير عليه؛ أن تكون له أسوة وقدوة ونموذج يحتذى به ويتبعه. فإذا كنا نريد أن نقوّم ونطوّر مجتمعنا، فلابد أن تكون لدينا علاقة مع إمام، مع حجة. وبتعبير آخر، لا بد أن يكون أمامنا ضوءاً نتحرك على أساس حركته وكشفه للواقع. فأهم شىء فى قضية علاقتنا بالإمام الحجة عجل الله فرجه هو أنه يجب أن نبرمج حياتنا بمختلف جوانبها وسلوكياتها على أساس العقيدة به، وعلى أساس قبوله أو رفضه لما نقوم به فى هذه الحياة.فلو أنا ذهبنا على سبيل المثال الى وليمة عند أحد الشخصيات المعروفة كأن يكون مرجعاً وعالماً كبيراً، أو شخصية جهادية بارزة، فمن الطبيعى أن الإنسان سينظر الى حركات وسكنات تلك الشخصية، وكيف يتناول الطعام أو الشراب مثلا.. فهو ينظر اليه ويراقبه ليتعلم منه ويتخذ منه قدوة له. ونحن ما دمنا نعتقد بوجود الإمام المهدى عجل الله فرجه، فلماذا لا نفكر فيما يقبل به، وما الذى يرفضه منا؟ وهل نحن نقوم بالأعمال التى تلقى قبوله، أم تلك التى تؤذيه؟أذن؛ لابد أن ننظم سلوكنا الاجتماعى مع الاخرين ومع أنفسنا والأقربين منا على ضوء ما يريده الإمام منا من تنظيم لسلوكياتنا وعلاقاتنا الاجتماعية، وقد يقول البعض بأننا لا نعرف سلوك وأخلاق وأعمال الإمام المنتظر عجل الله فرجه، كيف يأكل ويشرب ويلبس ويتكلم..يجب أن نعرف بأن الإمام الحجة عجل الله فرجه هو خلاصة الأئمة

الطاهرين من قبله، فكلهم محمد صلى الله عليه وآله، وكما يقول الحديث الشريف ": أولنا محمد، أوسطنا محمد، آخرنا محمد،" فكل الأئمة عليهم السلام يمثلون اتجاها واحداً، وشخصية واحدة، وهدفا واحدا، وان اختلفت الظروف والخصوصيات لكل واحد منهم عليهم السلام. لذلك إذا ما أردنا الاستفادة من هذا السراج الوضاء، ومن هذا البرنامج السامى، فيجب أن نبرمج حياتنا على أساس متين، وهو أن الإمام الحجة عجل الله فرجه قدوة وأسوة يجب أن نتبعها. ولذلك لابد أن نتساءل فى هذا الجانب، هل أن الإمام يختار شخصاً ليكون من أعوانه وأنصاره، وهذا الشخص يقضى ليله بلعب القمار حتى الصباح مثلا، ولا يصلى صلاة الصبح، وذو أخلاق وعرة سيئة مع عائلته ومع الناس الآخرين؟بالطبع لا؛ فانه يختار اناساً مؤمنين طيبين، رهبان الليل وفرسان فى النهار، سيماهم فى وجوههم من أثر السجود، قائمون، صائمون، متضرعون، وفى قمة الأخلاق الكريمة. لذا يجب أن نهتم بأنفسنا ونزكيها بالأخلاق والأعمال الصالحة ونصلح من شأنها، لا أن يكون جلّ اهتمامنا هذه الحجب المادية التى سرعان ما تبلى وتنفى جانباً، أويكون اهتمامنا منصّباً على ما يقول الناس فينا. فمثل هذه الاهتمامات تصبح عائقا أمامنا وسبباً لعدم تطورنا وتقدمنا وتزكية أعمالنا ونفوسنا.

الانتظار مفهوم رسالى نهضوى

يتصور البعض أن مفهوم الانتظار مفهوم رجعى جامد يدعونا الى السكون والسكوت عن الظالمين والعياذ بالله، فى حين أن العكس هو الصحيح. فلو نظرنا الى التاريخ لوجدنا أن الشيعة منذ البداية وحتى يومنا الحاضر، ويسبقون حتى ساعة الظهور المباركة، أصحاب الثورات وأهل النهضات والمقاومة الرسالية للظلم والظالمين، وما ذلك إلا لعقيدتهم بالإمام الحجة عجل الله فرجه، والمفهوم الرسالى الإيجابى للانتظار لديهم.فهذه العقيدة وهذا المفهوم هما اللذان يعطيان الأمل والحيوية للإنسان، لأن هناك قانون أو سنة الهية تتمثل فى أن الذى يكون مظلوماً، أو الذى يكون مع الحق فإن الله ناصره. وهذه السنة تتحقق فى أجلى صورها بالإمام الحجة عجل الله فرجه، لأنه عبد صالح وولى لله سبحانه، ومع الحق، ولأنه مظلوم ومضطر وصابر و.. وأى إنسان تتحقق فيه هذه السنة الإلهية، وهذه الصفات بنسبة معينة، فإن الله سبحانه ينصره بمقدار تلك النسبة.والدليل على ذلك أن النبى صلى الله عليه وآله هو أول من بشر المسلمين بظهور الإمام الحجة عجل الله فرجه، حيث أن هناك أكثر من إحدى وخمسين رواية مذكورة عن النبى صلى الله عليه وآله فى كتب علماء السنة فقط تتحدث عن الإمام المهدى عجل الله فرجه، ومن بين علماء السنة من كتب كتاباً خاصاً عنه عليه السلام فى سنة ۱۲۷ هـ أى قبل أن يولد، مثلما كتب علماء الشيعة عنه أيضا قبل ولادته. وبالإضافة الى الشيعة فإن أكثر علماء السنة الموجودين حالياً يذكرون فى كتبهم بأن العقيدة بالإمام المهدى عجل الله فرجه جزء من العقائد الإسلامية الثابتة. وهكذا كان النبى صلى الله عليه وآله هو المبشر الأول بالحجة عجل الله فرجه.إن الإيمان بالمهدى عجل الله فرجه كامل مكمل للمنظومة الإمامية، فكما أن الطائرة لا يمكنها التحليق فى الجو اذا أصابها عطب أو خلل فى أحد جناحيها أو أجهزتها العديدة التى تكون بمجموعها وحدة واحدة لا يمكن الاستغناء عن إحداها أو إلغائها، وكما أن الذى يؤمن بالزكاة والحج والخمس ولكنه لا يؤمن بالصلاة وينكرها يعتبر كافراً وليس مسلماً لأنه يفتقد جزءاً رئيسياً من منظومة الإيمان.. كذلك الذى لا يؤمن بالإمام الحجة عجل الله فرجه فهو لديه مشكلة رئيسية وخلل عميق فى ركن أساس من الإيمان، ولذلك لا ينصره الله تعالى.فالإيمان بالحجة، والإيمان بأن الله سينصر المظلوم، والثائر القائم بالحق الذى يدعو الى الله سبحانه، هذا الإيمان هو الذى يبعث النهضة فى صفوف المسلمين، حيث نرى أن الشيعة الرساليين فى جنوب لبنان قد طردوا الصهاينة ولا يزالون يجابهون العدو بروح التضحية والأمل بالنصر بفضل كلمة يا مهدى أدركنى. وهذا الإيمان بصاحب الزمان عجل الله فرجه هو الذى أعطاهم الحيوية والأمل بالنصر والسعى له!والقرآن الكريم عندما يتكلم عن قضية الاستخلاف فى الأرض لا يخصص ذلك بالإمام الحجة عجل الله فرجه بل يعممه، لأن سنة الله فى الأرض تحققت مرة لبنى إسرائيل حينما أنقذهم الله بموسى بن عمران عليه السلام، وتحققت للنبى صلى الله عليه وآله والمسلمين على عهده الشريف، وستتحقق إنشاء الله فى عهد الإمام المنتظر عجل الله فرجه. فالأرض لا تتحرر بكاملها إلا بعد قيام إمامنا عليه الصلاة والسلام.

فوائد عصر الغيبة الكبرى

اشاره

لابـد أن نعرف أن مثل الإمام الحجـة عجل الله فرجه بيننا كمثل الشـمس التى قـد تحجبها الغيوم، إلا أن نورها لابـد ان ينفـذ إلينا مهما تكـاثفت السـحب، وحرارتها ودفئها لابـد أن يصـلا إلينا، فمعينها باق ومسـتمر رغم تلك الغيوم والحجب.وقلب الإنسان المؤمن يعيش ويحيى بوجود حجـة الله فى أرضه كعيشه وحيـاته وسـط النهـار الـذى حجبت الغيوم شـمسه. فالإمـام المهـدى عليه السـلام هو شـمس المؤمن المحجوبـة عنه.فوائـد عصـر الغيبة الكبريوهنا يطرح التساؤل التالى نفسه؛ ما هى الفوائد والثمار والمنافع التى يمكن أن نسـتفيد منها، ونحصل عليها الآن فى عصـر الغيبـة الكبرى؟ومن اجل الإجابـة على هـذا التساؤل لابـد ان نمهد لـه بالقول: أن زمن ما بعد ظهور الحجـة عليه السـلام سوف تعمّ فيه الفائـدة والمنافع للجميع، بل ولكل الأحياء على الأرض حتى تشـمل الملائكـة والجن وكل موجود عاقل. وقد جاء فى بعض الروايات أن إبليس عليه اللعنة قد أُمهل هو الآخر إلى يوم الوقت المعلوم، الذى يفسر بأنه يوم الظهور وخروج المهـدى عليه السـلام، ذلك لأن إبليس كان قد طلب أمهاله إلى يوم القيامة، ولكنّ الله تبارك وتعالى لم يجبه إلى ذلك، وإنما أمهله إلى يوم معيّن وهو - كمـا تقول الروايـات- يوم ظهور الإمـام الحجـة عليه السـلام، حيث سيُقمع فى ذلك اليوم الموعود إبليس، وكل شياطين الأرض، وعنـدها ينعم الإنسان والوجود كله بالخير والسـعادة.وهكـذا ففى عصـر الغيبة الكبرى، أو عصـر الانتظار ثمرة معنوية، وفائـدة روحيـة نسـتلهمها من خلال عقيـدتنا بالإمام المهدى عليه السـلام، وهذا هو مجمل فلسـفة الانتظار الذى نعيشه فى عصـر الغيبة، ويمكننا إجمال هذه الفائدة والثمرة المعنويّة والروحية بثلاثة أمور أساسية هى:أ- الفائدة الناجمة عن نفس عقيدتنا بالإمام الحجة عجل الله فرجه.ب- محبتنا وولاؤنا له عليه السـلام.ج- تأييـده لنا فى المواقف الحرجـة، وساعات العسـرة.سبيل الانتفاع بالإمام الحجـةوهنا قد يسأل سائل: كيف السبيل إلى الاستزادة، والانتفاع من نور هـذه الشـمس التى حجبتها غيوم الـدهر السوداء؟والجواب على هـذا السؤال تتضمنه النقاط التالية:

انتظار الفرج

والحـديث عن هـذا الانتظار طويل وذو شـجون، ولكننا نسـتطيع أن نوضـح مفهومه من خلال ضـرب المثل التالى: أن الواحد منّا عندما ينتظر ضـيفاً عزيزاً عليه يقـدم إليه فان حالته ووضـعه سـيكونان غير الحالـة والوضع الطبيعيتين، حيث سترتسم معالم اللهفة والشوق على وجهه، فنجـده يترقب قـدوم الضـيف عليه دقيقة بعد اخرى، وعيناه مشدودتان إلى الطريق بعد أن يكون قد هيّأ فى بيته كل ما تسـتلزمه الضـيافة الكريمـة من فراش جيـد وطعام وشـراب لذيـذين، وما إلى ذلك... فكل هـذه الأمور إلى جانب الأمور المعنويـة التى يعيشـها الإنسـان تعكس معنى الانتظـار.فإن كان هـذا الاسـتعداد للصـديق العادى الـذى يأتيك زائراً، فكيف الحال بالنسـبة لإمام معصوم يأتى لينقـذ البشـرية المعذبـة، وينجّيها مـن آلامها ومعاناتها. وهمومهـا إلى الأبـد، أفلا تنتظره القلوب والأرواح قبل الأبدان؟أن ساعة الظهور هى أمر غيبى حُجب عنّا، وعن الإمام عليه السـلام نفسه، فلا يعلمها إلا الله سـبحانه. فنحن لا ندرى هل سـتحل هذه الساعة بعد شـهر أو سنـة أو ربما دهر، فـذلك فى علم الله وحده كما أكدت على ذلك الكثير من الروايات، ولذلك فما على المؤمن المنتظر إلا أن يدعو دائماً للتعجيل فى ظهوره عجل الله فرجه. وهـذه الـدعوة يجب أن لا تكون مجرد ترديد لسان فحسب، بل دعاءً نابعاً من الصـميم، ومن أعمـاق القلب الملهوف، التوّاق إلى ظهور الفرج ليعكس ويتجسـد فى سـلوك الـداعى وأعمـاله وجهاده الـذى يبرهن من خلاله على صدق دعوته، وشوقه إلى ظهور المهدى، والله سـبحانه وتعالى يقول: « إِدْعُونِى أَسْـتَجِبْ لَكُمْ» فلا يسـتخفّن مؤمن عامل بدعائه فيقول: ومـا قيمـة دعـائى؟ فللـدعاء أهميته ودوره فى تعجيل ظهوره عليه السـلام، وحـدوث الفرج.فالخالق جل وعلا يـدعو عباده إلى الـدعاء، والإلحاح فى الطلب، حيث يقول: «وَقَالَ رَبُّكُمُ إِدْعُونِى أَسْـتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْـتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ»، وفى

موضع آخر يقول عز من قائل:« وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ»فالله تبارك وتعالى يستجيب لدعوة عبده المؤمن إذا اخلص العبادة والدعاء، فهو سبحانه يحب إلحاح الملحّين. فلا ينسى أحد منّا عندما يفرغ من كل صلاة يؤدّيها أن يدعو بتعجيل الفرج بظهور مهدى أهل البيت عليه السلام، وهذا ما يجب أن يتخذه كل مؤمن صادق الولاء لأهل بيت العصمة منهاجاً وسيرة، ألا وهو الدعاء بالفرج فى عصر الانتظار فهو لا محالة يقرّب الفرج.

تعزيز روحيّة الإنسان المؤمن

والأمر التالى يتمثل فى الفائدة المعنوية وتعزيز الروحية لدى المؤمن، إذ أن مجرّد الإيمان والاعتقاد بوجوده وحضوره عليه السلام فى هذا العالم رغم عدم معرفة شخصه، فإن ذلك من شأنه أن يخلق الأمل والطموح لدى المؤمنين، ويهوّن لديهم المصاعب والمعضلات، ويزيل همومهم وآلامهم.. ولذلك فإن المؤمنين الصادقين لم يعرفوا الهزيمة والانكسار المعنوى فى صراعهم مع أهل الباطل والكفر والعدوان والإلحاد.بلى؛ قد ينهزمون عسكرياً فلا ينالون النصر فى معركة ما، ولكن هذه الهزيمة لا يمكن أن تنال من معنوياتهم وروحياتهم ما دامت الغلبة فى نهاية المطاف لا تكون لأهل الظلم والجور، ومادام هناك فى هذا العالم إمام لابد من أن يظهر ويأخذ بثأر ومظلومية كل المظلومين على امتداد تاريخ العمل والجهاد فى سبيل إعلاء كلمة الله عز وجل.

بركة دعاء الإمام لأتباعه

فكما نحن ندعو له عليه السلام بالفرج والظهور، ونصرة الله له، وأن يكون قائده وناصره ودليله وعينه، فأنه عجل الله فرجه يدعو بدوره لأبناء أمته ومحبيه وموالية، ولعل أكثر النعم التى نعيشها ولا نكاد نحس بها أو لا تخطر على بالنا هى من بركات دعاء الإمام لنا؛ فلعل العديد من الكوارث التى نكره وقوعها ولكنّها مقدّرة فى العلم الإلهى يجرى عليها البداء ببركة دعاء الإمام المهدى عجل الله فرجه، فتزول أو يخفّف وطأها وأثرها.

الاجر و الثواب الإلهيان

فالله تبارك وتعالى يكتب لنا الأجر الجزيل لرسوخ عقيدتنا بالمهدى، ولدعائنا الكثير الدائم له بالظهور ووقوع الفرج بهذا الظهور المبارك، وقد جاء فى الحديث الشريف": أفضل أعمال أمتى انتظار الفرج، "وجاء أيضاً": أفضل العبادة انتظار الفرج، "فلولا انتظار الفرج ليأس المؤمنون من جهادهم وعملهم فى سبيل الإسلام ورفعة كلمته، ولضاقت صدورهم حين وقوع البلايا والمصائب وتوالى المحن والآلام عليهم؛ بلى لولا انتظار الفرج لما وثبوا إلى ساحات العمل والجهاد والبذل والتضحية بالمال والأنفس فى سبيل الله.فلا يبررن أحد تقاعسه وتكاسله ويدّعى أن لا فائدة ولا جدوى من الجهاد والعمل، إن كان يؤمن ويعتقد بإمامه المهدى عليه السلام، وانتظار ظهوره، وحلول الفرج. فالمنتظر لظهور إمامه عليه السلام يعتبر كل جهد يبذله فى سبيل الله تعالى ريحانة يغرسها على طريق الظهور، يستقبل بها إمامه الظاهر لا محالة، والذى سيملأ الله به الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً، وهذه حقيقة ثابتة.ونحن لو نظرنا إلى كل المجاهدين والعاملين فى طريق الإسلام وفى مجالات الخير والصالحات لوجدناهم جميعاً ممّن يحبّون الإمام، وينتظرون خروجه وفرجه، وهذا يعود إلى كون قلوبهم حيّة طريّة عامرة بالإيمان والأمل.وهنا أعود لأذكّر على أن مجرّد انتظار الفرج من شأنه أن يخلق الحيوية والنشاط والأمل لدى المؤمن، فيحفزه على العمل والنشاط الدؤوب والبذل وخوض غمار العمل والجهاد، فنراه ينفق ماله فى الخيرات ومشاريع الخير والصلاح إن كان ذا مال، أو يجنّد نفسه وطاقاته إن كان صاحب جسم قوى ونشاط، أو يوظف فكره وقابلياته ومواهبه على هذا الطريق إن كان ذا ثقافة وعلم وأدب وفن.وهكذا فان انتظار الفرج هو الأمر الأول الذى نستفيد منه كفائدة معنوية من فوائد عصر الغيبة الكبرى.أما الأمر الأساسى الثانى فهو حبّنا للإمام عليه السلام وولاؤنا له. فالإنسان الذى يؤمن

بفلسفة الغيبة ولديه اليقين بوجود الإمام وكونه ناظراً على أعمالنا وسلوكنا وتعاملنا مع المجتمع والأمة فى الحياة، فإنه يكون على صلة قلبية وروحية مع الإمام؛ أى أنه يصبح ويمسى محباً، ذائباً فى إمامه وقائده الذى غيّبته الدهور عنه، فحرمته حلاوة لقائه، والتمتع برؤيته.ونحن كشيعة مؤمنين نعتبر الإمام المنتظر النموذج الأعلى لنا، ولما كان هذا الإمام مغيباً عنا كان علينا الرجوع إلى ممثّليه الشرعيين، ومن ينوب عنه فى غيبته وهم العلماء والفقهاء والمراجع العظام، نتبعهم ونقلّدهم ونعمل بوصاياهم على أساس من النيابة أو الوكالة. فالإمام مفروض الطاعة ولا جدال فى طاعته واتباعه، أما الوكيل أو النائب عنه فانه واجب الطاعة أيضاً مادام مستقيماً على خط الإمام ونهجه، وفى حالة انحرافه – لا قدّر الله – ولو بأدنى مقدار فان على الأمة أن تميل عنه إلى من هو أعدل منه، وأكثر استقامة وورعاً وتقوى.وهكذا فان الإمام الحجة عليه السلام هو المقياس لدى الشيعة، وهذه العقيدة هى التى أعطت الفكر الشيعى، وأغنته بالحيوية والاستقامة والثبات، ولذلك لم نجد فى تأريخ التشيع أن مرجعاً ما انحرف عن الطريقة بأن جبن، أو صار عميلا، أو خان دينه وأمته، ذلك لأن أبناء الأمة المؤمنة بمهديِّها تراقب بكل دقة مراجعها وسيرتهم وهم يؤدون ما عليهم من التكاليف الشرعية؛ فهم لا محالة سيسقطون من أعين الجماهير أن انحرفوا عن الطريقة أدنى انحراف. فعلاقة الشيعة بمراجعهم لم تكن فى يوم من الأيام علاقة شخصية عاطفية، بل هى علاقة قيم ومبادئ، وعلاقة نيابة عن إمامهم الغائب الذى هو قدوتهم الأولى والأخيرة، ومثالهم الحقيقى.

الفوائد الحقيقية

اشاره

وبعد؛ فهذه هى المنافع الظاهرة من الغيبة وانتظار الفرج وهى ما يمكن تسميتها بالفوائد العامة، ثم هناك المنافع والفوائد الخفية التى لا يحس بها، ولا يلمسها إلا أهل الفضل والعرفان.فكثيرة هى المواقف والظروف العسيرة التى مرّ بها الشيعة أو المسلمون وربما البشرية جمعاء، والتى كادت أن تتحول إلى أهوال لشدتها، فكان الإمام الحجة بدعائه وبمنزلته عند الله سبحانه وتعالى سبباً لإنقاذها وخلاصها من تلك الأهوال والمواقف العسيرة وهذا مالا يدركه إلا أولو الأبصار من أهل العلم والعرفان.أننا جميعاً جلوس على مائدة الحجة المنتظر عجل الله فرجه؛ فممّا لا ريب فيه أنه مهيمن على كل أوضاع الأرض وأهوالها، وقد كانت له هذه الهيمنة بفضل الله وقدرته ورحمته، ولذلك ينبغى علينا الالتزام بالمفردات التالية:

تغيير السلوك

والذى أرجوه أن نعاهد الله جل جلاله منذ هذه اللحظة على أن نغيّر سلوكنا. فقد يغيب عن بالنا، أو ربما يجهل الكثير منا إن أعماله وسلوكه يطّلع عليها الإمام عليه السلام فى كل يوم وليلة كما تؤكد على هذه الحقيقة الكثير من الروايات الشريفة؛ فإن كان قد صدر منا خير وصلاح سرّه ذلك، وإن كان شراً أو إثماً اساءه وأحزنه. وإذا أردنا أن نفهم معنى هذا السرور أو الشعور بتلك الإساءة فلنرجع إلى مشاعرنا وأحاسيسنا عندما نلمس المعصية والإساءة من أولادنا، ومن ذلك ندرك أحاسيس إمامنا ومشاعره تجاهنا نحن كشيعة ندعى ولاءه وحبّه ثم نسيئه ونحزنه بمعاصينا، وانحرافاتنا وتقاعسنا وتبريراتنا.فليكن سلوكنا سلوك المنتظرين الحقيقيين له عليه السلام، ولنتمثل حقيقة الانتظار فنصلح نفوسنا وأخلاقنا وسلوكياتنا وتعاملنا مع إخواننا الآخرين، ونجعلها بالشكل الذى يتطابق مع روح الانتظار.

الاستعداد النفسى و الجسمى

لنكن مستعدّين نفسياً وجسمياً على الدوام، ذلك لان ظهور الإمام –كما بيّنا– لا يعرف أوانه، ومن ذلك نفهم السرّ فى أن بعض

العلماء والمراجع يجعلون سيوفهم تحت وسادتهم كى يكونوا مستعدين فى أية لحظة عندما يظهر الموعود، فما السيف إلا رمز للاستعداد الجسدى.وبناء على ذلك ينبغى أن يكون لدينا استعداد قتالى هو من الضرورات بالنسبة إلى الشيعة، فيجب على الشيعى أن يكون مهيئاً مدرباً نشطاً مستعداً للتضحية على طول الخط، بالإضافة إلى الاستعداد الأخلاقى، والتزكية النفسية, فالحجة المنتظر إنما يريد أناساً طاهرين مخلصين، وهذا ما يجب أن نبنيه فى أنفسنا، ونخلقه فى اطباعنا وأخلاقنا.

التبشير بالإمام

أى أن نعمل منذ الآن على التبشير بالإمام عليه السلام، وبيان حقيقة الانتظار وفلسفتها، ولنعلّم أطفالنا ونعرّفهم بالمهدى عليه السلام وغيبته وفوائد هذه الغيبة حسب ما تستوعبه مداركهم؛ أى أن نبسّط المفاهيم ونقرّبها إلى أذهانهم كى يعوا هذه العقيدة، ويترعرعوا فى ظلّها شيئاً فشيئاً؛ فلعل أوان الظهور يكون من نصيبهم، وزمانهم.وكل ذلك - كما أوضحنا- يكمن فى فهمنا واتباعاً لأمرين أساسيين هما:١- دعاؤنا بتعجيل ظهور الإمام عليه السلام.٢- استيعاب حقيقة الإمام عليه السلام وفلسفة الانتظار.واستيعاب هذين الأمرين ربما يكفى لوحده لأن يغير أوضاع المسلمين، ويجعلهم أكثر التصاقاً بأئمتهم، والقيم التى عملوا وجاهدوا من أجلها، وأكثر إتباعاً لمناهجهم، وتقفّى آثار العلماء والمراجع اللذين ينوبون عنهم، وبذلك يصبح المسلمون قوة منيعة كالبنيان المرصوص.

المفهوم الحقيقى لانتظار الإمام المهدى

لأنّ رحمة الله سبقت غضبه، ولأنها وسعت كل شىء، ولأن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان ليرحمه لا ليعذبه، فقد جعل عاقبة هذه الحياة الحسنى، وقضى أن يختمها بأفضل يوم وأحسن عهد، وذلك حين ظهور الإمام الحجة بن الحسن المنتظر عجل الله فرجه.ولقد اخبرنا الله عز وجل فى آيات عديدة بهذه الحقيقة الثابتة، ومن ضمنها قوله تعالى: «هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ»

علاقتنا بالإمام المنتظر

ولاريب أن هذه الحقيقة لم تقع بعد، وأن الإنسانية ما تزال تنتظر ذلك اليوم الأغرّ الذى يرفرف فيه لواء العدل والحق فوق أرجاء العالم أجمع، ولكن كيف يتحقق هذا الهدف، وما هى مسؤولية الإنسان اتجاهه، وما هى علاقته أساساً بهذا المنقذ المنجى الذى سيظهر الله تعالى به دينه على الدين كلّه، وبتعبير آخر؛ ما هى العلاقة التى يجب أن نقيمها ونحن نعيش عصر الغيبة بسيّدنا ومولانا الإمام المهدى عليه السلام؟؟وللإجابة على هذه الأسئلة لابد أن نقول أن القرآن يفسّر بعضه بعضاً؛ فالله عز وجل يقول بعد الآية السابقة: «يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ»، فهذه الآية توحى لنا بحقيقتين مهمتين:

الظهور يتحقق على أيدى المؤمنين المجاهدين

١- ان تحقيق هذا الهدف يتم على يد أولئك المؤمنين الذين قرروا أن يكونوا مجاهدين حقاً، وان يعقدوا صفقة تجارية رابحة مع ربهم، يجاهدون من خلالها بأنفسهم وأموالهم لينجيهم الرب من العذاب الأليم، ولينالوا رضوانه.وعلى هذا فليس من الصحيح الاعتقاد بان مسائل غيبية لابد أن تتدخل لتغيير مسار الحياة. فالله تعالى يقول: «هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ» ثم يقول بعد ذلك مباشرة: «يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ».ثم يستمر السياق الكريم ليبيّن ماهيّة هذه التجارة، فى قوله تعالى: «تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ...». فالقضية -إذن- تتعلق بالإنسان، فهو الذى يجب أن يحمل راية الجهاد، ويضحّى بماله، ونفسه. ليحصل بذلك على الجنّة، وينجى نفسه من

النار حتى تتحقق إرادة الله فى إظهار دينه على الدين كله.

الجهاد على نوعين

۲- الجهاد فى سبيل الله على نوعين؛ نوع يأتى من خلال فورة عاطفية مرحلية، فيبادر الناس إلى حمل الرايات وينادى المنادون بالجهاد بسبب تأثرهم بالأجواء المحيطة بهم، فيندفعون إلى ساحة المواجهة.وهناك نوع آخر من الجهاد هو الذى يحقق المسيرة الحضارية، ويجعل الإنسان يصل إلى الهدف الأسمى من خلق الكون، ألا وهو إظهار الدين على الأرض كلّها. وتحقيق هذا الهدف الأسمى، وهو غلبة الدين الإلهى على كل الأفكار والمبادئ الوضعية فهو يتطلب فئة باعت نفسها لله عز وجل، ودخلت فى صفقة تجارية معه لا تراجع عنها سواء كانت هناك رايات ترفع للجهاد أم لم تكن، وسواء كانت هناك أجواء تحرّض على الجهاد أم لم تكن.

الجهاد طبيعة المؤمنين

اشاره

أن مثل هؤلاء المؤمنين يتمتعون بطبيعة جهادية، فنراهم يبحثون عن الجهاد فى كل أفق سواء كانت الظروف مواتية أم لا، لأنهم يعتبرون الجهاد الجسر الأقرب إلى الجنة، والطريق الأقصر لرضوان الله، والسبيل الأفضل للنجاة من النار، ومن الذنوب المتراكمة على النفس.فكل إنسان لابد أن يرد نار جهنم، فنحن واقعون فيها شئنا أم أبينا، وهذا ما أكدت عليه مصادر التشريع الإسلامى كقوله تعالى: «وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً ، ثُمَّ نُنَجِّى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً» (مريم/۷۱-۷۲)

النجاة من النار هدف المؤمنين الأعلى

وعلى هذا فإن الهدف الأسمى، والتطلع المهم للإنسان المؤمن يتمثلان فى النجاة من النار. وهكذا الحال بالنسبة إلى المجاهدين فهم يسعون لتحقيق هذا الهدف، ولكن بطريق اقصر، وقول الله تعالى: «يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ» يدّل على ذلك، لأن الخطاب موجّه إلى المؤمنين لا إلى المسلمين أو عامّة الناس، ولأن الحديث موجّه إلى المؤمنين فقد أصبح يمتلك مستوى رفيعاً يتمثل فى مخاطبة الإنسان الذى يبحث عن النجاة. أما الإنسان الذى لا يعرف معنى لجهنم، ولا يؤمن بالآخرة، ولا يفكر فى الخلاص من نار جهنم، فالحديث لا يمسه بشىء.وهنا قد يتبادر إلى الذهن أن الحديث موجّه إلى المؤمنين، فلماذا يؤكد النداء الإلهى مرة أخرى على قضية الإيمان؟ وللجواب على هذا السؤال نقول: أن هذا التأكيد ربما يكون توجيهاً إلى الدرجات العلى من الإيمان.

ما يأخذه الإنسان المؤمن

أن كلّ ما ذكر فى الآية السابقة كان متعلّقاً بما يعطيه الإنسان المؤمن، إما بالنسبة إلى ما يأخذه فهو ما يبيّنه الله جل وعلا فى القسم الثانى من الآية الكريمة، والذى نذكره من خلال النقاط التالية:۱- غفران الذنوب «يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ»؛ وهو أهم هدف يسعى المؤمنون لتحقيقه، ذلك لأننا جميعاً مذنبون فى حق أنفسنا، ولو غفلنا عن هذه الذنوب فإن عقاب الله لا يضل ولا ينسى، ولا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وباعتبار أننا جميعاً مذنبون، فلابد أن نبحث عن طريقة للنجاة تتمثل فى الجهاد من النوع الثانى -كما أشرنا إليه- والذى يقضى ان يكون الإنسان مجنداً لله، ومتطوعاً ومخلصاً فى سبيله.۲- دخول الجنة؛ «وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الاَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ».والقرآن الكريم يقرر أن الإنسان ليس بإمكانه إدراك معنى الجنات، ولكنها -باختصار- هى الفوز العظيم، فهى ليست بساتين عادية، أو سقوفاً من فضة، وبيوتاً من ذهب، لأن جميع هذه المظاهر أمور بسيطة لا

أهمية لها، والمهم فى كل ذلك أنها الفوز العظيم الذى يحققه الإنسان متمثلاً فى نيل رضوان الله.۳- النصر المؤزر « وَأُخْرَى تُحِبُّونَها نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيب»؛ وهذه من النتائج المهمة التى يبذل الإنسان المؤمن جهوده من أجل تحقيقها، حيث يشرع فى الجهاد، ويصمم على مقارعة أعداء الله.

الجهاد فى كل الظروف و الأحوال

ثم يستمر السياق القرآنى الكريم ليؤكد على صفة الإخلاص المطلق لله عز وجل، ونصرة الحق، حيث يقول تعالى: «يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ»؛ أى على الإنسان المؤمن أن يكون جندياً فى جيش الحق، متطوّعاً فى جند الله، متفرغاً فى سبيله، وبالتالى أن يكون إنساناً يبحث عن كل ما يمتّ إلى الجهاد بالصلة، وعن أى مظلوم أو حق سليب أو أمة مستضعفة يدافع عنها.

الحواريون قدوة المؤمنين

وللإنسان المؤمن فى هذا المجال أسوة حسنة بالحواريين الذين قال عنهم الله تعالى: «كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِى إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ».فالحواريون - كما يبدو من هذه الآية - تقدموا مرحلة مهمة، فعيسى عليه السلام أمرهم أن يكونوا أنصار إلى الله، ولكنهم تقدموا مرحلة وقالوا: نحن أنصار الله؛ أى أننا سلكنا هذا الطريق، ومضينا فيه إلى درجة بحيث وصلنا إلى النتيجة، فأصبحنا أنصار الله جلّت قدرته، ولذلك قال تعالى فى بداية الآية: « كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ».يستأنف السياق القرآنى الكريم مُبيّناً لنا معنى (أنصار الله) قائلاً: «قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّه فَآمَنَت طَآئِفَةٌ مِنْ بَنِى إِسْرَآئِيلَ وَكَفَرَت طَآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ»ونحن لو تدبرنا فى كلمة (ظاهرين) وربطناها مع العبارة السابقة (ليظهره على الدين كله) لاستنتجنا أن أنصار الله الحقيقيون هم الذين يمكن ان نضرب بهم مثلاً من واقع الحواريين الملتفّين حول عيسى بن مريم عليه السلام، وهؤلاء هم الذين سيظهر الله تعالى بهم دينه فوق هذا الكوكب. ثم انّ هذه الآية تجيبنا على سؤال سبق وأن طرحناه آنفاً وهو: ما هى علاقتنا بالإمام الحجة عجل الله فرجه.

الامام الحجة شمس مغيَّبة

أن الأحاديث والروايات تبين أن الإمام المنتظر هو كالشمس المغيّبة وراء السحب، فهى ترسل أشعتها، ولكن الإنسان لا يستطيع أن يراها، ولا يعرف فى أى منطقة من هذه السماء الواسعة هى موجودة، فهى تبث الخير والبركة إلى الأرض ولكن من موقع مجهول.وهكذا الحال بالنسبة إلى الإمام الحجة عجل الله فرجه، فهو موجود بيننا إلى درجة أنه عندما يظهر فأن الجميع سيشعر أنهم رأوه فى أماكن مختلفة، كما أشارت إلى ذلك الأحاديث الواردة فى هذا الصدد، ولذلك فإن على الإنسان المؤمن أن يكون مؤدباً وملتزماً بالأحكام الإسلامية وخاصة فى مجلس الدعاء والعزاء والعلم وفى البقع والأماكن المقدسة، لأن الإمام المنتظر عجل الله فرجه قد يكون من بين الحاضرين.ولذلك فإن من أهم ما يشعر به الإنسان المؤمن فيما يرتبط بعلاقته بالإمام الحجة عجل الله فرجه هو تأدّبه وتهذيبه لنفسه، لأنه يعلم أن الإمام المهدى الذى هو إمامه، وشفيع ذنوبه، وقائده إلى الجنة فى الآخرة، تعرض عليه كل يوم أعمال المؤمنين جميعاً، فإذا وجد إنساناً من شيعته يذكر الله تعالى باستمرار، ويفعل الخير، ويسعى إلى الصالحات، فأنه يستبشر، ويغمره الفرح، ويدعو له، أما إذا وجد أن صحيفته سوداء فانه يحزن ويتأثر.

جوانب علاقتنا بالإمام

وعلى هذا فان علاقتنا بالإمام الحجة عجل الله فرجه لها عدة جوانب:۱- تهذيب الإنسان المؤمن لنفسه، واهتمامه باعماله وتصرفاته،

وخصوصاً بالنسبة إلى من تطوّع فى سبيل الله من العلماء والخطباء والمجاهدين، لأن علاقة هؤلاء بالإمام أكثر متانة من علاقة غيرهم به، فهم بمثابة ضباط فى جيشه، فإن قدّر لهم الخروج فى عهده، فلابد أن يراقبوا أنفسهم اشد المراقبة.۲- الانتظار الذى يعطى معنى (الإنذار)؛ بان يكون الجيش فى حالة الإنذار القصوى، وإذا كان كذلك فهذا يعنى أن يكون سلاحه وعتاده وصفوفه وتنظيماته فى مستوى التحدى والانطلاق للعمل فى أية لحظة، وهذا هو ما يعنيه (الانتظار).وقد لا يكون الجيش الذى وضع تحت الإنذار الشديد محباً للقاء عدوه، فترى كل فرد منه يوجس خيفة من قدوم الأعداء، فى حين أن المؤمنين الذين يعيشون تحت أعلى درجة للإنذار يحدو بهم الشوق دائماً إلى لقاء الإمام، وكلما أصبح عليهم يوم جديد سألوا الله عز وجل أن يكون هو موعد ظهور الإمام الحجة عليه السلام.ولذلك فانهم مستعدون فى كل لحظة لسلوك الطريق، وقد جاء فى تاريخ علمائنا الذين عاشوا أيام السيوف والرماح أنهم كانوا يهيؤون لأنفسهم سيوفاً يتدربون عليها كل يوم جمعة بعيداً عن أعين السلطات استعداداً لظهور إمامهم، وإبقاءً منهم على الدرجة العالية من التدريب والاستعداد.وهذا هو المفهوم الحقيقى للانتظار، فهو لا- يعنى الجمود، وان نجلس مكتوفى الأيدى، أو أن ننتظر حتى ظهور الإمام المهدى عجل الله فرجه، ثم نتدرب على السلاح وننظم صفوفنا فهذا تصور خاطئ لا يرضى به الشرع ولا العقل، فقد قال الله جل وعلا- فى بداية السورة التى استعرضنا بعضاً من آياتها: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ».فلابد -إذن- من أن نبادر إلى العمل من الآن استعداداً لظهور الإمام المنتظر عجل الله فرجه، ولذلك فان على كل إنسان مؤمن إن يجدد عهده مع الإمام فى كل يوم عبر الأدعية والزيارات المأثورة.۳ - طاعة من أمر الإمام بطاعته؛ فالجندى فى المعركة لا-ينتظر القائد الأعلى ليأتيه ويخبره بالأوامر والواجبات ولكن عبر مراتب القيادة، ونحن باعتبارنا نعيش فى أيام الانتظار فان علينا أن نطيع من أمر الله تعالى والإمام بطاعتهم، متمثلين فى الفقهاء العدول الذين هم نوّاب الإمام عجل الله فرجه.

كيف ننتظر الإمام المهدى؟

سنن الله تعالى تجرى فى الأولين كما جرت فى الآخرين، وهى سنن واحدة لا تجد لها تحويلاً ولا تبديلاً، وفى القصص التى حدثت فى تأريخ البشرية إشارات وأمثلة على ما سيجرى فى مستقبلها، والمستقبل الذى سوف تتجلى فيه سنن الله بصورة كاملة وشاملة هو المراد من خلق الإنسان.

المهدى خاتم الأوصياء

وإذا كان آخر الأنبياء، وخاتم المرسلين هو نبينا الأعظم محمد صلى الله عليه وآله الذى ختمت به رسالات الله، فإن خاتم الأوصياء هو الآخر سوف تختصر فيه غايات الرسالات الإلهية، لأن الله عز وجل خلق الكون على سنّة التكامل والتسامى. فالأنبياء السابقون - مثلاً- لم يؤمن بهم إلا نزر يسير، وقلما وجد هؤلاء الأنبياء انتصاراً فى حياتهم كما انتصر الله لرسالته الخاتمة على يد رسولنا الأعظم صلى الله عليه وآله.وإذا كان فتح الله الذى تجلى على يد النبى صلى الله عليه وآله أعظم فتح، فإن هذا يعنى أن الرسالة سوف تتجلى فى أفضل صورها، وأروع معانيها، وأصدق حقائقها على يد خاتم الأوصياء سيدنا وإمامنا المنتظر عجل الله فرجه. وهذه الرحلة الشاقة للبشرية لابد أن تنتهى بيوم النصر، وهذه هى إرادة الله تعالى، فالخلق هو خلقه، والمملكة مملكته، والأرض قبضته، ولأن هذه الدنيا إنما خلقت ليرحم الله فيها العباد.

الرحمة الإلهية تقتضى الظهور

ولأن الخالق عز وجل هو أرحم الراحمين، فلابد أن ينتهى الظلام، ولابد أن ينجلى الليل عن نهار مشرق، ولا مناص من أن ترسو سفينة البشرية على شاطئ السلام والأمن والرحمة، لأنه تعالى إنما خلق الخلق ليشملهم برحمته ومن المستحيل لمن يعرف رب العباد، ويعرف

أسماءه الحسنى أن يعتقد أن هذه الدنيا وما فيها هى مراد الله، والهدف الذى خلق الكون من أجله. فحاشى لـه عز وجل أن يخلق البشر ليكونوا ألعوبة بيد الطغاة، ويرسفوا تحت نير الظالمين، وليكونوا تحت سحابة قاتمة من الفقر والمرض والحروب الطاحنة.فلو فرضنا أن الله تعالى ترك هذه البشرية على ما هى عليه، فما هى - إذن- حكمة بعثة الأنبياء عليهم السلام، وما هى حكمة الكتب والرسالات إذا كان عز وجل يريد للبشرية أن تنتهى إلى ما انتهت إليه الآن؟وبناءً على ذلك لابد أن تكون لرب العالمين حكمة، وهى أنه إنما أخر إذنه لوليه الأعظم وخاتم الأوصياء بالظهور لأن ظهوره هذا ستكون فيه غاية ونهاية وذروة التقدم البشرى، ولذلك فقد أخر هذا الظهور.

الظهور هو السعادة الحقيقية

فإن وجدنا البشرية الآن تعانى العذاب، فإن بعد هذا العذاب رحمة. وإذا عاشت البشرية التفرقة، فإن هذه التفرقة هى إرهاص للوحدة. ونحن نجد المجتمع البشرى اليوم يتقدم خطوات واسعة فى طريق التكنلوجيا، ولعل البعض يعتقد أن السعادة سوف تتحقق بهذه التكنلوجيا المتطورة فى جميع المجالات، فى حين أن هذه ليست سعادة، لأن البشر بحاجة إلى الوحى فى الغايات والأهداف والأخلاق والمثل، فهم لا يستطيعون أن يتحركوا لوحدهم.وهنا لابد أن تأتى رسالات الله عز وجل لتنقذ البشرية من هذه المحن، فالإنسان اليوم يستغل التكنلوجيا المتطورة التى توصّل إليها لضرب الأطفال، وقتل النساء، وتدمير المدن، وفى مجال آخر استطاع أن يتطور ويحصل على نتائج مدهشة فى مضمار الاقتصاد والزراعة؛ فهو اليوم بمستطاعه أن يزرع فى فدان واحد عشر مرات أكثر مما كان يزرعه سابقاً، وتلك مخازن القمح والذرة فى أميركا ممتلئة، ولكننا نجد فى نفس الوقت ثمانين مليون إنسان يعانون من الجوع، وعشرات الملايين من الأطفال يموتون سنوياً بسبب نقص التغذية وسوء الظروف الصحية.وإزاء ذلك نرى الغربيين يصرفون أكثر من خمسين مليون دولار لإحراق وإتلاف المحاصيل الزراعية الفائضة عن حاجتهم! والسبب فى ذلك ان الإنسان يعرف كيف يُغير الطبيعة ولكنه لا يعرف الهدف، ويجهل كيف يعيش كإنسان أو يتألم لآلام الآخرين.

لماذا آلت البشرية إلى هذا الوضع؟

ترى لماذا يحدث كل هذا؟إن هذا العالم لا يعرف القيم، ويعانى الأمراض فيها، كرجل كلّ أعضائه سليمة ولكنه لا يملك العقل. فالإنسان فى هذا العصر يتحرك ولكنه لا يعرف وجهته، وكما روى عن الإمام على بن الحسين عليهما السلام ": ومن لم يكن عقله أكمل ما فيه كان هلاكه من أيسر ما فيه. [۴] .إنّ هذا هو حال البشرية اليوم، فهل خلقها الله تعالى لكى تعيش هكذا؟وبناءً على ذلك فإن هذه التقنية وهذا التقدم الصناعى لا يمكن أن يعطيا الإنسان ما يريده. فهو يريد عيشة الرفاه والسعادة، وهذه السعادة مهددة اليوم بالأسلحة الفتاكة، بحيث أنه بمجرد أن يضغط الإنسان على زر واحد وإذا بالطائرات والصواريخ الحاملة للرؤوس النووية تهدم العالم كله.العلاج فى مذهب أهل البيت عليهم السلامترى هل أنّ هذا الإنسان الذى يمتلك هذه التقنية القاتلة يتمتع بقيم كافية لتحديدها؟إن التقدم الصناعى لم يعط للإنسان هذه الحقيقة، فأين -إذن- المنقذ؟لقد خلق الله عز وجل الكون ليغمره برحمته، فأين تتجلى هذه الرحمة؟ابحثوا فى ديانات الأرض كلها لتجدوا أنها كلها تبشر بيوم الخلاص، وبإقامة حكومة الله فى الأرض، ولكن ليس بتلك الصورة الواضحة والمؤكدة التى نجدها فى الإسلام، وفى مذهب أهل البيت عليهم السلام خصوصاً؛ فهذا المذهب يتميز بأنه يزود الإنسان بأفق مشرق، ويقر فى الإنسان الإيمان بحقيقة أن الله تعالى لابد أن يملأ هذه الأرض بالقسط والعدل والسلام والأمن بعد أن ملئت ظلماً وعدواناً.لقد ادخر الله عز وجل رجلاً وضعه وراء ستار الغيب، وهذا الرجل موجود ومن الممكن أن يظهر فى أية لحظة ليملأ الأرض بكل الخيرات والبركات، وليكمل عقل الإنسان، وحينئذ تتحقق سعادته، ويغدو إنساناً كاملاً لا يريد أكثر من أن يعيش مرتاحاً، لا يعتدى على إخوانه، ولا يوجد فى قلبه غل. فهذا الغلّ الذى فى قلوبنا وسوء الظن، وهذه الأخلاق السيئة هى التى تفرّقنا، ولا

تـدعنا نعيش بسـلام فالسـلام لاـ يقتصـر فقط على السـلام الخارجى، فهناك سـلام فى قلب الإنسان، والمجموعـة التى لا تعيش أجواء المحبة لا يمكن أن تعيش السعادة، لأن النفس هى معدن السعادة وموطنها.

المعنى الحقيقى للانتظار

للانتظار ثلاث معانٍ متدرجة وهى

١- انتظـار الفـرج؛ وهـو النقـطـة المشـرقـة التى تتجلى أمـام الإنسـان، فيتحرّك نحوهـا بالانتظـار. فحركته يجب أن تكون باتجاه نقطة معينة؛ أى باتجاه تلك الغاية التى رسمها الله سبحانه وتعالى، وهذه الغاية هى التى تحددها فكرة انتظار الفرج الذى يشرق على القلوب دائمـاً بنور الأمـل. فالإنسـان الـذى يعيش الأمـل يؤمن بـأن العاقبـة للمتقين، وبالتالى فإن الله عز وجل سـيمكن للصالحين، وتكون على أيديهم نهاية العتاة المتمردين، وهذه الفكرة تجعل قلبه فى راحة وأمل، حتى فى أحلك الظروف؛ لأن اليأس هو أخطر مشكلة يواجهها الإنسان، فهو يفقـد الحياة عنـدما ييأس، نظراً إلى أن القنوط هو الموت العاجل، والخطيئة الكبرى.وفى الحقيقة، فإن انتظار الفرج يعالج هذه المشـكلة؛ مشـكلة اليأس والقنوط، والدليل على ذلك أن الشـيعة كانوا وما يزالون هم الأكثر رفضاً للظلم والطغيان، فالمناطق التى تسـكنها الأغلبيـة المؤمنة بمذهب أهل البيت عليهم السـلام، الذين فى قلوبهم نور من انتظار الفرج، وشـعاع من نور الإمام الحجة عجل الله فرجه نراهم هم الـذين يرفضون الظلم أكثر من غيرهم، وهم الـذين يتصـدّون للفسـاد، ويضـحّون بأنفسـهم قبل غيرهم، وعلى سبيل المثال؛ فعنـدما احتلت إسـرائيل جنوب لبنان بادر المسـلمون الشـيعة فى لبنان إلى مقاومـة الاحتلال كما يعرف الجميع، وعنـدما قاوموا الاحتلالـ كان الشـعار الـذائع على أفواههم (يا حجـة بن الحسن، يا مهـدى)، لأن قوات الكيان الصـهيونى كانت جاءت لكى تبقى فى لبنان، وهـذا يعنى انتهاك الأعراض، وتغيير الـدين، وانتشار الفساد، فعرف الشـيعة الحقيقـة، لـذلك اتجهوا إلى الإمام الحجـة، وحملوا السـلاح فى وجه المعتـدين، حتى حققوا انتصارهم العظيم.ونفس هذه الظاهرة وجدناها لدى الشـيعة فى العراق الذين قاوموا الظلم أيام الاحتلال البريطانى وقبله وحتى اليوم؛ وأذكر فى هذا المجال أن مراسـلاً فرنسياً سألنى قائلاً: إن الشيعة فى العراق أصيبوا بمشاكل أكثر من الأـكراد، وتحملوا الـدمار أكثر من غيرهم، فلمـاذا لم يقبلوا التفـاوض مع النظـام كما فعل غيرهم؟ فقلت: لأن الشـيعة يمتلكون أملاً اسـمه انتظار الفرج.وفى الواقع فإن السـبب الذى يجعلنا نحارب دائماً أننا نؤمن بفكرة الانتظار، ومن علامات وإشارات هذه الحقيقة أن ثورة العشرين قد تفجرت فى ليلة الخامس عشر من شعبان، كما أن الانتفاضة الأخيرة ضد النظام الصدامى حدثت هى الأخرى فى هذه الليلة، ذلك لأن هذه الليلة هى ليلة النور التى تذكرنا بأننا لسنا من الذين لا يمتلكون إماماً وراعياً، بل نحن نمتلك هذا الإمام والراعى، وهو ينظر إلينا، وهذه الفكرة هى التى تدفعنا إلى الامام. ولو أن الشـيعة عرفوا قيمة انتظار الفرج حق معرفتها، واستوعبوها حق استيعابها، لمـا بقى شـيعى واحـد مظلوماً فى الأرض، لأنهم سـيرفضون فى هـذه الحالـة الظلم، وسينصـرهم الله عز وجل.٢- المعنى الثـانى لانتظار الفرج، أننـا عنـدما ننتظر هـذا الفرج نوجه نظرتنـا دائماً إلى القيادة، وإلى مركز القرار، وإلى الولايـة الإلهيـة، ونجعل مقياسـنا فى ذلك الإمام الحجـة عجل الله فرجه. وهـذا ما ينعكس على قيادتنا الروحيـة المتمثلـة فى المرجعيـة، وما يفسـر سـبب كون القيادة الدينية لدى الشـيعة هى الأزهد والأتقى والأعلم، والأقرب إلى المثل الإلهية.ونحن عندما نسـتعرض القيادات الشـيعية فى العصور الأخيرة. فإننا نجد أشـخاصاً من مثـل العلامـة الأنصـارى، والميرزا حسن الشـيرازى، والشـيخ كـاظم الأخونـد والسـيد الطباطبـائى صـاحب العروة الوثقى، والمرحوم آية الله السـيد أبو الحسن الاصفهانى، وأخيراً السيد الخوئى، والسيد الكلبايكانى (رضى الله تعالى عنهم أجمعين).ترى كيف اكتشف الشـيعة هذه النماذج، وكيف نمت هذه النماذج، حتى أصـبحت قمماً مضـيئة لا نجد لها نظيراً فى العالم.السـبب أنهم يمتلكون قمـة أعلى هى قمة الإمام الحجة عجل الله فرجه، وهذه الذروة السامقة والمتكاملة هى التى نعبّر عنهـا بـ(انتظار الفرج) لأن انتظار الفرج يجعلنا دائماً نسـير نحو القمم المضـيئة، ونحلّق حتى نصل إلى الآفاق البعيدة.٣- وأمـا المعنى الأعمق لانتظار الفرج، فهو أن يعيش كل

واحد منا كما يريد له الإمام الحجة عجل الله فرجه أن يعيش، فكل واحد منا يحاول أن يجد لنفسه نموذجاً يقتدى به، وهذه صفة أصيلة فى البشر، لكى يحوّل نفسه إلى صورة مصغرة لذلك النموذج الأسمى، ونحن عندما ندرك ان إمامنا الحجة المؤيد من السماء تتجسد فيه كل المثل العليا، فإننا سننتظر خروجه؛ أى نستقبله من خلال جعل أنفسنا بحيث يرضى عنا.وفى هذا المجال يؤكد أئمتنا عليهم السلام أن صحيفة أعمالنا تعرض كل يوم على الإمام المنتظر عجل الله فرجه، وأننا بحاجة إليه فى كل صغيرة وكبيرة؛ فى الدنيا، وعند سكرات الموت، وعند النزول فى القبر، وأن السؤال الأول الذى يوجّه إلينا هو عن إمامنا.ونحن عندما نسمع أن صحائف أعمالنا تعرض كل يوم عليه، فإننا سنحاول تهذيب أنفسنا أكثر فأكثر، وهذا هو المعنى الأصيل والحقيقى لانتظار الفرج، فهو يعنى أن تستقبل الإمام الحجة عجل الله فرجه بأعمالك الحسنة، وبتهذيب نفسك وتزكيتها، وتنمية المعانى الخيرة فيها.

كيف نرضى الإمام المنتظر؟

فلنبرمج لأيام حياتنا، ونضع لها خططاً للتطوير والإصلاح، فمن تساوى يوماه فهو مغبون، ولنحاول أن نرى ما هو النقص فينا، فلقد منّ الله تعالى علينا بالعيش فى بيوت مؤمنة تعوّدنا فيها على الصلاة والصيام وحضور المجالس، وهذه نعمة كبيرة، ولكن هل يكفى هذا أم أن أمامنا مدارج أخرى للتكامل يمكننا أن نرتقى من خلالها؟إن علينا تحديد نقاط الضعف فى شخصيتنا، والسعى لعلاجها، ومن ضمن نقاط الضعف التى نعانى منها؛ سوء الظن، الذى هو من أسوأ ما يبتلى به المؤمنون، وهذه فتنة لهم، وهى أسوأ الفتن، فنحن نعتقد دائماً أننا أهل الجنة وأن الآخرين مأواهم النار، فلنستغل ذكرى ميلاد الإمام الحجة عجل الله فرجه لإصلاح أنفسنا، وإزالة هذه الخصلة السيئة من أنفسنا؛ الخصلة التى نهانا الله سبحانه عنها قائلاً: «يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ»، والمؤمنون هم المخاطبون فى هذه الآية الكريمة، ثم يستأنف تعالى قائلاً: « وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَب بَعْضُكُم بَعْضاً..»، وللأسف فإن هذه الصفات السلبية معشّشة فى نفوسنا، وعلينا أن نحاول ونجاهد من أجل اقتلاعها، لنعيش مؤمنين صالحين، ولنكون من المنتظرين حقاً لفرج إمام زماننا.

فى استقبال الإمام المهدى

عندما يكون الجهاد فى سبيل الله عز وجل. فإن الإنسان سوف لا يفرّق فى هذه الحالة بين أمة وأخرى، وبين شعب وآخر، وتجمّع وتجمّع ثانٍ، وقد أوضح الله سبحانه هذه البصيرة القرآنية فى الآيات التالية من سورة النساء:« وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَآءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِن لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِن لَدُنكَ نَصِيراً ، الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَآءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً ، أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وءَاتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلآ أَخَّرْتَنَآ إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالاَخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلًا» (النساء/۷۵-۷۷)ونحن نجد فى الآيات السابقة التى تحدد فى مجملها أبعاد وملامح المجتمع الإسلامى الفاضل، آيتين متتاليتين تحدّثنا حول ضرورة نصرة المستضعفين أنى كانوا، وتبيّنان لنا أن المؤمنين يقاتلون فى سبيل الله، وعلى هذا فإن (سبيل الله) الذى تشير إليه الآية الثانية ليس إلا الدفاع عن حق المستضعفين الذى تشير إليه الآية الأولى.وعندما يكون الدفاع عن المستضعفين هو سبيل الله، فإن ذلك يعنى أن هذا الدفاع لا يخصّ مجتمعاً أو جماعة دون أخرى، فعندما يدافع الإنسان عن شعبه، فإن دفاعه هذا قد يكون فى سبيل الله، وقد يكون فى سبيل الطاغوت، كأن يكون فى سبيل الوطن، أو القومية والعنصرية والتكبر.وعلى سبيل المثال فإن المجتمع النازى فى المانيا قدّم أكثر من عشرة ملايين قتيل فى سبيل أحلامه العنصرية التوسعية، والمجتمع الصهيونى هو مجتمع حرب، فميزانية الحرب فيه تطغى على كل ميزانية أخرى، فكل إنسان فى هذا المجتمع يعتبر مقاتلاً فى سبيل هذا المجتمع، ولكن هل قتاله

هذا فى سبيل الله أم فى سبيل الطاغوت؟

مجرد الحرب ليس جهاداً

إن مجرد الحرب والقتال، ومجرد خوض المعارك لا يعنيان أن العمل الذى يقوم به الإنسان مشروع، كما يشير إلى ذلك تعالى فى قوله الكريم: «الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ الطَّاغُوتِ» (النساء/ ۷۶)؛ فهما معاً يخوضان القتال، ويقدمان التضحيات، ولكن أحدهما يقاتل فى سبيل الله، والآخر فى سبيل الطاغوت.

ترى كيف نميّز القتال الحق عن الباطل؟

اشاره

الجواب: الهدف هو وسيلة التمييز، فإذا كان هذا الهدف متمثلاً فى طائفة، أو شعب، أو قوم، أو أرض معينة ...فإن هذا يعنى أن القتال قد يكون فى سبيل الطاغوت.أما إذا كان الإنسان يدافع عن المستضعفين مهما كانوا، وأينما كانوا، فإن الأمر سيختلف، فهذا يعنى أن هذا الإنسان يحارب من أجل الله وفى سبيله.وفى هذا المجال علينا أن نقول إن الإمام الحجة عجل الله فرجه، إنما يأتى من أجل المستضعفين فى الأرض، والذى نريد أن نبينه هنا أن وصول البشرية إلى درجة الدفاع عن المستضعفين يعنى بلوغها القمة السامقة من الوعى والنضج الفكريين، فالإنسان -شاء أم أبى- لابد أن يكون محدداً ضمن إطار، سواء كان إطار الأرض أم الإقليم أم أى إطار آخر، فهناك- على سبيل المثال- رجل يدافع عن العراق، وآخر عن أفغانستان، وثالث عن لبنان ...وهؤلاء يحق لهم أن يدافعوا عن أرضهم.ولكن عندما يكون الدفاع عن الأرض فإن هناك واقعين يدفعان الإنسان معاً، وهما؛ دافع الإيمان، ودافع الوطنية؛ ولكن متى يصبح الدافع دافعاً وحيداً؟الجواب: عندما يقال لك إن إنساناً مستضعفاً فى نيكاراغوا، أو فى ناميبيا، أو فى الفلبين أو أى بلد آخر من بلدان هذه الأرض الشاسعة يتعرّض اليوم للمأساة والحرمان، فتندفع لنصرته، وفى هذه الحالة فقط سيكون جهادك فى سبيل الله سبحانه وتعالى.أما إذا اندفعت للقتال فى سبيل أرض، أو شعب، أو قوم، أو من اجل قضية دون قضية أخرى، فى حين أن القضيتين تشتركان فى ملاك واحد، ومقياس واحد، فإن قتالك هذا سيكون فيه نظر؛ أى أنه سوف لا يكون خالصاً لوجه الله عز وجل.إن القرآن الكريم يقول بصريح العبارة: «وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَآءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِن لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَنَا مِن لَدُنكَ نَصِيراً» (النساء/۷۵).وهذا يعنى أن هؤلاء المستضعفين يستحقون الدفاع أيا كانت انتماءاتهم؛ سواء كانوا ملوّنين أم بيضاً، فقراء أم أغنياء، وسواء كانوا مؤمنين مخلصين أم لم يكونوا كذلك، بل المهم فى هذا المجال أنهم مستضعفون.وإذا كانت هذه الحقيقة صادقة، فإن هذا يشير إلى إن هناك فئة ستمهّد لظهور الإمام الحجة عجل الله فرجه وإذا كانت هذه الحقيقة صادقة أيضاً، فإن الصراع بين جبهة الحق والباطل إذا بلغ ذروته، فإن الله تعالى سيأذن لوليه بالظهور. ونريد من بلوغ الصراع لذروته أن يتحول إلى صراع دولىّ وعالمىّ، وهذا يعنى أننا نقترب بخطى حثيثة من اليوم الموعود إن شاء الله...والسبب فى ذلك أن الصراع فى العصور الماضية كان محدوداً وإقليمياً، فهو لم يمتد من أقصى الأرض إلى أقصاها، فى حين أن الصراع الآن يشمل العالم كله، فهذه الحروب يشترك فيها الأميريكيون، والفرنسيون، والبريطانيون، والروس بالإضافة إلى من يدور فى فلكهم، وفى جهة أخرى نجد أن المسلم العراقى والإيرانى والأفغانى وسائر المسلمين فى العالم يقفون فى جبهة واحدة ضد جبهة الجاهلية، وهذا يعنى أن الحق والباطل أصبحا يمثلان جبهتين عالميتين غير محدودتين بحدود إقليمية أو عنصرية وما إلى ذلك.

الصراع بين الإيمان و الجاهلية يبلغ أوجه

إن الإنسان المؤمن يقاتل فى سبيل الله؛ فالصراع أصبح صراعاً من جانب المؤمنين فى سبيل الله دون إعارة أيـة أهمية إلى الاعتبارات الأخرى، ومن جهة أخرى فإن الجاهلية عبّأت اليوم طاقاتها من أجل الإبقاء على الطاغوت أيّاً كان، وهذه ميزة أخرى لا تتحقق إلا قبيل ظهور الإمـام المنتظر عجـل الله فرجه؛ فالأرض قـد ملئت ظلمـاً وجوراً، وهـذه الأرض يجب أن تملأ بحول الله وقوته بالقسط والعـدل والسـلام من قبل وليّ الله الأعظم، وهـذه حقيقـة ثابتـة لابد أن تتحقق.وهكذا؛ فإن الحرب اليوم أصبحت على جبهتين واسعتين؛ جبهة الحق، وجبهـة الباطـل. وبعبـارة أخرى؛ صـراع بين المؤمنين المجاهـدين فى سبيـل الله والمستضـعفين، وبين الكفـار المقاتلين فى سبيل الطـاغوت.فالـذين آمنوا يقـاتلون فى سبيـل الله جـلّ وعلا، وبتعبير آخر؛ من أجل القيم، لا من أجل أرض، أو ذات، أو أيّـة قيمـة ماديـة أخرى، بل من أجل الإنسان المستضـعف أنى كان.وهناك فى المقابل جبهـة الجاهليّة التى تحارب من أجل الطاغوت. وقد دخلنا الآن مرحلـة جديـدة. فلـو أردنـا أن نقرّب ظهور الإمـام الحجـة عجـل الله فرجه فعلينـا أن نعمـل من أجـل إنقـاذ البشـرية من هـذه الحروب، والويلاـت والمآسـى، ولابـد أن نصـبح جنوداً وعـاملين مخلصـين فى جبهـة وليّ الأمـر.ونحن الآـن علينـا أن نسـجل أسـماءنا فى قائمة أصـحاب وأنصـار وجنود الإمـام المهـدى عجـل الله فرجه، وذلـك من خلاـل تغيير الـذات، والتجرد من الأنانيات، والتحوّل إلى إنسان يعمل فى سبيل الله سـبحانه، ويقاتل من أجله فى أيـة أرض، ومن أجل أى إنسان مستضـعف.إن المسافة بيننا وبين ما نريد أن نصل إليه طويلـة وشاسـعة، ونحن نحتـاج من أجـل تحقيق أهـدافنا إلى العمل الجاد الـدؤوب، والاجتهاد والحيويـة، وتزكيـة أنفسـنا، وطرد الأطر الضـيقة منهـا، وأن نجاهـد من أجـل ان نجعـل نوايانـا فى جهادنـا خالصـة بشـكل كامـل لوجه الله الكريم.. ومن خلال هـذه الخطوات الضرورية سنستطيع حينئذ أن نمهّد لظهور الإمام المنتظر عجل الله فرجه، ونكون من جنوده.

الولاية و الايمان بالغيب

مرتكزات الولاية الإلهية

«مَـا كَـانَ لِبَشَـرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِن دُونِ اللّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ، وَلَا يَأْمُرُكُم أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلآئِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُم مُسْـلِمُونَ ، وإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِى قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَاْ مَعَكُم مِنَ الشَّاهِدِينَ ، فَمَن تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ، أَفَغَيْرَ دِينِ اللّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ» (آل عمران/۷۹-۸۳)ليس من شك أن دين الله دين شامل وعام، فهو لا يختص بظرف زمـانى أو مكـانى، تمامـاً كمـا هو الحال بالنسـبة لنعم الله وبركاته على عباده. وعليه فإن دين الله لا يرتبط بالنظام السياسـى الحاكم بأى وجه من الوجوه، حتى وإن كـان هـذا النظـام السياسـى غير منبثق عن الـدين، فالإنسـان مكلّف بأداء تعاليم الـدين فى مختلف الظروف والأحوال حسب الوسع والإمكان.وهـذه الحقيقة لا تعنى افتقار الدين الى نظام سياسـى، بل العكس هو الصـحيح تماماً، إذ أن أعظم ما فى الـدين نظامه السياسـى الـذى شـرّعه للبشـرية، هذا النظام الذى يأخذ من الولاية الإلهية التى أنزلها الله وحدّدها قبل ان يخلق الخلق، معتمـداً ومتّكـأ.فـالله تبـارك وتعـالى جعل فى الأرض خليفـة، ثم خلق الناس؛ الناس الـذين خلقهم فى عالم النسل والذريـة، فهؤلاء لم يخلقهم إلا بعد أن عين لهم خليفة، وهو صفوة الله أبونا آدم عليه السلام. وقد بعث الله مائة وأربعة وعشرين الف نبى ورسول وأرفدهم بالأسباط والأئمة ليكونوا خلفاء وأئمة مطاعين بإذن الله، ولا يوجد أكثر صراحة من الآية القرآنية الكريمة فى هذا المجال، حيث تقول: «وَمَآ أَرْسَـلْنَا مِن رَسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ».وهكذا فإنّ ما من رسول أو نبى بعثه الله إلا وكان يحمل مشروعاً سياسياً للمجتمع الإنسانى. والناس بين هـذا وذاك مخيّرون فى الاهتـداء والاقتـداء بقيادة السـماء المنتخبة لهم أو عدم الاهتداء والاقتداء. فكانت لله الحجّة البالغة على الذين أعرضوا عن الإيمان بهذه الحقيقة الواضـحة وضوح الشـمس.فلقد ختم الله رسالات الأنبياء برسالة نبينا محمد صلى الله عليه

وآله وسلم، فكان خاتم الأنبياء والمرسلين، كما ختم مهمة الأوصياء والأئمة بإمامة الحجة بن الحسن المهدى الموعود عجل الله فرجه الشريف، الذى جعله للناس كما الشمس فى رابعة النهار، فإن حجبت الغيوم الداكنة ضوء الشمس، فلا يعنى انعدام الشمس، فهى تبقى قائمة بوظائفها وباعثة لأشعتها. ومن يغلق دون أشعة الشمس نوافذ بيته، فلا يحرم إلّا نفسه من الاستفادة منها. ومثل الإمام الحجة المنتظر مثل القرآن، تضىء بصائره العقول، وتعالج مناهجه وتعاليمه المشاكل والأزمات.. غير أن أكثر الناس يحجمون عن الاستفادة منه.فهل – بعد كل ذلك– تكون الحجة للناس على الله، أم لله الحجة عليهم؟بالتأكيد كانت وتكون الحجة البالغة لله على الناس. فلقد أنزل القرآن الذى ان تمسكت البشرية بمعانيه ومناهجه لسقيت ماءً غدقا. وكذلك واقع حجة الله فى أرضه الإمام المهدى المنتظر، فهو عدل القرآن، وهو القرآن الناطق دون أدنى شك.

ركائز النظام السياسى فى الإسلام

بادئ بدء أقول: أنّ التعابير والألفاظ قد تعددت فى إطار النظام السياسى فى الإسلام، فتارة يسمى بولاية الفقيه أو الإمامة أو القيادة الإسلامية والدينية، وقد يسمى بولاية الله، وتعابير أخرى لا تغير من المعنى شيئاً.إنّ الركيزة الأولى لهذا النظام، هو عدم العلاقة بين الإيمان بوجود القيادة الإلهية للأمة وبين الإيمان بغيبة الإمام المهدى الموعود.فالإيمان بوجود الإمام مرتبط بصورة مباشرة بأصل الدين وفلسفته وحكمته؛ أى أن الإيمان بالنظام السياسى الإسلامى يعنى الإيمان بوجود إمام مشرف، إشرافاً مباشراً على المسيرة البشرية. إذن؛ فوجود الإمام أوسع من أن يكون مشاهداً أو غائباً عن الأنظار.ونحن لم نصور الإيمان بالنظام الإسلامى، والإيمان بوجود الإمام بصورة واحدة، إلّا لأننا تصفحنا الآيات القرآنية فوجدنا فيها قوله تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُون» فعرفنا عبر هذه الآية حقائق عدة، منها:١ – أن وجود الخلقة والخليقة قائم على أساس الطاعة.٢ – أنّ مستوى العبادة تتفاوت درجاته بحسب تفاوت درجة العابدين.٣ – أنّ وجود غير العابدين من الجن والإنس يعتبر خطوة عاصية على طريق تغيير حكمة الله فى عملية الخلق، وهذا ما يجعل الحجة البالغة لله على غير العابدين.۴ – بما أنّ درجة العبادة فى تفاوت مستمر، فإنّ العابد الأصدق من شأنه أن يكون الأكثر قرباً الى الله تعالى، وبالتالى فإن الأعبد من بين الناس يأخذ الحصة الأكبر فى حكمة الله فى خلقته للمخلوقات، وأنه –الأعبد– كان سبباً لان يخلق الله الخلق من أجله.۵ – أنّ الأنبياء والرسل هم أعبد الناس، وأن نبينا محمد وآله من بعده صلوات الله عليهم أجمعين هم أعبد الصفوة من بين عباد الله. وبالتالى فإن أساس الخلقة قام على أساس وجودومنزلة أهل البيت عليهم الصلاة والسلام.۶ – أن أولئك الذين يختصمون فى مصداقية إمامة الحجة المنتظر ووجوده وغيبته سلام الله عليه، بعيدون عن معرفة حكمة الوجود ولماذا خلق الله سبحانه الكون، إلّا الذين أبصروا حقائق الدين وقالوا بأنّ إمامة أهل البيت ووجود الإمام الغائب تمثل التعبير الأصدق لمقولة وجود النظام السياسى الإسلامى وولاية الله..ومن هذا المنطلق الذى أكدته آيات القرآن والأحاديث والروايات الشريفة نتساءل عن أنّه هل من المعقول أن يخلق الله الخلق من أجل مجموعة من الأشخاص – وهو النبى وأوصياؤه من بعده– ثم يعمد الله أن يخلى الأرض منهم، حيث تبقى الدنيا دون أن تبقى الحكمة من خلقها؛ الحكمة التى تعنى وجود النبى أو من ينوب عنه بالنص المباشر؟بالتأكيد ليس من المعقول أبداً أن يحدث كلّ هذا. ولكنّ الذين فى قلوبهم زيغ، والتابعون لما تشاء أهواؤهم، ومريدو الفتن والتأويل غير الصادق، إنّما أضلهم الله على علم، وأصبح مثلهم بين الناس كمثل الغنى الذى مات فقراً وجوعاً.إذن؛ فهى نقمة كبرى أن يؤمن الإنسان ثم يكفر فيطبع الله على قلبه فلا يكون ممّن يفقه قيلاً.

تسلسل نظام الولاية

لقد خُلق الإنسان مدنياً بطبعه؛ أى أنّه يميل تلقائياً إلى أقرانه، ولا يمكن أن ينتظم هذا الميل دون وجود نظام وحكم يأخذان بيد هذا الإنسان المدنى إلى مدارج الرقى والتقدم، ولا يمكن أن يؤدى هذا النظام وهذا الحكم وظيفته بالصورة المطلوبة والمرجّوة دون أن

يكون رمز هـذا الحكم إنساناً صالحاً وأصـلحاً من بين أقرانه، ولا يكون الإنسان أصـلحاً ما لم يكن أقرباً إلى خالقه، وكيف يحكم من يحكم وهو لمّا يولد بعد؟!ولقد أجمع المسـلمون على وجود اثنى عشر خليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولكنهم اختلفوا فى الرأى على اسمائهم، فرأى الشيعة أنهم على بن ابى طالب والحسن والحسين وتسعة من ذرية الحسين عليهم الصلاة والسلام، ورأى غير الشيعة أنّ خلافة رسول الله تختص بمن بايعهم الناس وانتخبوهم من قبل، ولكنهم أجمعوا أيضاً على أنّ الإمام المهدى سيظهر فى عهد من العهود ليملأ الأرض عـدلاً كمـا ملئت بالجور من قبل، ولكنهم اختلفوا أيضاً بخصوص تحقق ولادته، فقالت الاماميـة بأنّه قـد ولد بالفعـل، وقـال غيرهم انّه لمّـا يولـد بعـد، وإنه من أولاـد الرسول كما قالت الشـيعة بهـذا الخصوص.أقول: إننا وبالاسـتناد الى الروايات المؤكدة الصادرة عن النبى والأئمة من بعده، فإنّ الإمام الثانى عشر قد ولد فعلاً، وإنّه قد اضطرّ الى الغيبة القسرية مرّتين، وإنّه قد أناب عنه فى غيبته الأولى أربعـةً من الوكلاء، إلا أنه أطلق الأمر فى غيبته الكبرى الى العلماء بالـدين المطيعين لمولاهم المخالفين لأهوائهم، لقيـادة النـاس باعتبارهم وكلاءه العامّين فى إفتاء الناس وقيادتهم نحو ما يريـد الله لهم من خير وينهاهم عنه من شـر.ومن هنا، كان لابد من التأكيـد على عدم إمكان الفصل بين الولاية الإلهية والقيادة الدينية، وهكذا كان جميع الناس مدعوّين الى البحث عن قائد يتبعونه، وهذا ما يمكن تسميته بالنظـام المرجعى، حيث يسعى كلّ إنسان بالغ غير مجتهد فى الأحكـام الى تقليد مرجع من المراجع، وهذا الأمر يعود الى قناعـة الإنســان.ولعـل القضـية الجـديرة بالاهتمـام البـالغ أنّ مراجعنـا العظـام كـان كلّ منهم – وفى خضم التطور الاجتماعى ومتطلبات الحياة– يفتى الناس ويقودهم تحت مظلّـة الولايـة الإلهيـة، وهـذا ما يظهر جلياً للقارئ الفطن فى كتبهم وتعابيرهم الدقيقة، لا سيما فى باب القضاء منها، حيث يحددون وظائف الإمام باعتباره القائد المسؤول عن شؤون الناس.

بين الشورى و الديمقراطية

يعتبر مبدأ الشورى فى الإسـلام أصـلاً أصـيلاً فى النظام الدينى، فإذا كنا فيما مضى من الزمان نختار أئمتنا المراجع عن طريق الانتخاب العفوى، فإنّ عصـرنا الراهن يؤكد الحاجة الماسة إلى اسـتبدال تلكم الطريقة بطريقة أخرى، وعبر صناديق الاقتراع مثلاً. فالقيادة الدينية لهـا ارتبـاط مباشـر بمن لـه علاقـة بالـدين، وبالتالى فإن الإنسان المؤمن معنىٌ بالدرجـة الأولى بمن يقوده وبمن يمثل هـذا الـدين فقهاً وعدالة وقدوةً.وهذا يعنى أن هذا المنحى سـينتهى فى الخاتمة الى تحويل المجتمع المسلم الى مجتمع إلهى بعد أن كانت قيادته إلهية، وهـذا الواقع نفسه يجب أن يشـمل طبيعـة النخبـة فى المجتمع أو ما يطلق عليه بالحركات الإسـلامية السياسـية، حيث لابـد لها من قيادة مرجعيـة ميدانيـة تأخـذ بزمـام أمورهـا نحو العـدل وسـلوك الخير، لتتحاشـى –بقيادتهـا تلـك– احتمـال الوقوع فى الأخطـاء والمطبات السياسـية المحرّمة..ولكنّ الديمقراطية –كما هو معروف– تأخذ مشـروعيتها من الرأى العام وانتخاب الأكثرية، دون الأخذ بعين الاعتبار الوجهـة الدينيـة والأخلاقيـة. ورغم ذلـك فإننا لم نجـد نظاماً ديمقراطياً مطلقاً فى مكان ما من العالم فضـلاً عن تطبيقاتها الفاشـلة.إننى اعتقـد أنّ ما فصّلناه من طبيعـة النظام السياسـى الإسـلامى يكاد لا يخفى على عاقل، ولكن الأسف الشديـد يغمر وجودنا حينما تختلط الثقافات وينهار البعض أمام ما يبهرهم من تطور مـدنى وصـناعى حاصل فى بلاد الغرب، فتضـيع حقيقة الدين السـمح واليسـير عليهم، فيرفعون رايـات الإبهـام والإشـكال على شخصـية العلمـاء والمراجع، رغم أن هؤلاـء لم يـدّعوا فى يوم من الأيـام أن لهم مكانـة الأئمة المعصومين، وإنى لعلى حيرة من أمر بعض الناس الـذين يرفضون حاكميـة وولاية الفقيه، فهل يرغبون بولاية المنافقين؟ وما هو البديل الـذى يرونه مناسـباً؟ فإن كانوا يريـدون النظام، فالنظام لا يقوده سوى العلمـاء بحـلال الله وحرامـه، فهـذا الشـرط يتضـمن باقى شـروط الشخصـية القياديـة الطبيعيـة.إن القـرآن الكريم يؤكـد قائلا: « مَا كَانَ لِبَشَـرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِن دُونِ اللّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَـدْرُسُونَ». فالحكمـة فى القيادة هى دعوة القائـد للناس أن يكونوا ربانيين، لا أن يدعوهم لعبادته، إذ العبادة لله تعالى وحده.

الولاية السبيل إلى تحقيق العدالة

القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذى لا يحتاج إلى شهادة من خارجه، وإن ازدحمت الشهادات والشهود له من المؤمنين وغيرهم فهو الكتاب الذى يشهد لنفسه بنفسه على أنه ليس من وضع البشر وإبداعهم مهما بلغت درجات سموهم فى العلم والفصاحة والبلاغة، ولا غرابة فى ذلك مادام لسان السماء ورسالتها لمن على الأرض، فهو بما يتضمنه من آيات عظيمة، وبصائر نيرة، وحقائق مشهودة، يجعلنا نهتدى إلى حقيقة أنه كتاب الله عز وجل، وإن اختارت بعض النفوس الرفض والعناد والإصرار على الكفر والإلحاد.

القرآن شفاء كل داء

وفى كتاب الله الشفاء لكل داء، والعلاج لكل مشكلة تعترض مسيرة الإنسانية نحو أهدافها التكاملية فى الحياة، ويوم يأخذ الناس هذا الكتاب مأخذ الجد فى القول والعمل والسلوك فلينتظروا إشراقة شمس السعادة فى آفاق حياتهم ليسمو بنورها ودفئها، وليطمئنوا حينئذ للفلاح والنصر الإلهى وجنى اليانع من ثمار الجهاد والعمل فضلاً من الثواب والأجر الجميل، والرضوان الإلهى الأكبر فى الآخرة.ومن حقائق القرآن أنه يكشف للإنسان عن القيم والمبادئ العامة التى لابد له من التحرك نحوها، والأهداف والغايات النبيلة السابقة التى ينبغى عليه بلوغها ليتنعم بوارف ظلالها، وهو -أى القرآن- يبيّن فى ذات الوقت السبل التى ينبغى اتباعها، والوسائل التى من المفترض استثمارها للوصول إلى تلك الأهداف والغايات والحقائق الكبرى، فهو الدليل إلى بلوغها؛ أى أنه - بالإضافة إلى مهمته الرسالية الأساسية فى الحياة وهى بيان الهدف التكاملى- الصراط المستقيم الذى يقود نحو ذلك الهدف التكاملى.وللهدف التكاملى هذا جوانب عديدة يؤطرها الإيمان، وتدور حول محور التقريب إلى الله جل وعلا؛ ومن هذه الجوانب تشكيل مجتمع العزّة والكرامة فى ظل سيادة العدل، وهيمنة روح المساواة وفق الموازين والمعايير الواحدة.

حقيقة العدالة

والعدالة فى مجمل معناها وتعريفها تعنى وصول كل ذى حق إلى حقه دون زيادة أو نقصان، وتترتّب على ذلك المساواة فى المجتمع؛ أى أن لا تعيش طائفة من الناس فى قمة من الثراء والعزة، بينما يبقى الآخرون فى قاع الذّل والفقر والحرمان. فليس من العدل أن تتكدس المقدرات فى يد مجموعة صغيرة من الناس تمكّنهم من السيطرة على حقوق الآخرين وأرزاقهم، بل وحتى على كراماتهم وأعراضهم وحرماتهم؛ وليس من الإنصاف أيضاً أن تتخذ هذه الشرذمة لنفسها مقاعد فى القصور الضخمة لتخطط بروح شيطانية للملايين من البشر ثم تنبرى مدّعية ظلماً وعدواناً أن هؤلاء ليسوا ببشر، فتنظر إليهم على أنهم مجرد بهائم خلقت لتكون وسائل لخدمتهم بما يعزّز قوتهم وكيانهم، ويزيدهم جبروتاً وطغياناً.والله سبحانه وتعالى إنما خلق الإنسان ليرحمه لا ليعذبه، كما يشير إلى ذلك فى قوله: «وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً»، والرسول إنما هو رحمة للناس والعالمين، ولذلك فإن الإنسان خُلق للرحمة لا للعذاب، وفى ذلك يقول عز من قائل: «وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ، إِلاَّ مَن رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ». فالله جل وعلا هو الرحمان الرحيم، وآثار رحمته شاخصة فى كل أرجاء الكون.

لماذا البؤس و الحرمان؟

وإذا كان الأمر كذلك؛ فلماذا نجد الغالبية العظمى من البشرية تعيش البؤس والحرمان، وتعانى الويلات وأنواع الاضطهاد والظلم؟ ولماذا أصبحت مصادر الثورة الهائلة والأموال الطائلة وأسباب القوة والهيمنة وقفاً على أناس معدودين دون غيرهم، بينما يسرح القسم الأكبر من البشرية المعذبة فى غياهب الجهل والفقر وظلمات التخلف والانحطاط، تسحقها عجلات ماكنة التقدم التكنلوجى التى يأخذ

بمقودها أولئك المترفون الذين وصلوا إلى درجة من الشبع والبطر بحيث لم يدعوا سبيلاً للتبذير والإسراف إلا وسلكوه؟!وما أكثر الأمثلة على صور الإسراف والبطر الذى يعيشه أولئك، ولنتصفح فى هذا المجال المجلات والصحف ففيها ما يسبب الدوار فى الرأس من شدة الاستغراب؛ فذاك يمتلك آلاف الملايين وعندما يدنو منه الموت يوصى بأمواله وممتلكاته تلك إلى قطة صغيرة كان قد ربّاها!!إنه الشذوذ بجوانبه العديدة الذى أصيبت به تلك الأقلية التى تقود زمام الحضارة والتكنلوجيا المتطوّرة، وعلى رأسه الشذوذ العقلى الناجم عن الشعور والفراغ القاتل الذى يدفع أولئك إلى أن يحترموا الهرة إلى درجة التقديس، بينما لا يلتفتون أدنى التفاته إلى ورائهم ليروا تلك الحشود البشرية الجائعة التى تبحث عن فتات رغيف تدفع به الخطر الداهم فلا تجده، ثم تموت أفواجاً بعد أفواج وكأنها ليست بشراً له الحق فى الحياة.

الخالق يريد لنا العزة و الكرامة

والله عز وعلا خلق الإنسان، وأوضح له مناهجه فى الحياة عبر رسالات السماء، ولم يكن يريد لمسيرته أن تنتهى إلى ما هى عليه الآن من الصور القاتمة، ولم يكن يريد له أن يضيع فى متاهات الفراغ أو يتخبط فى مستنقع شذوذه، ثم يعانى الملأ الأعظم الويلات والمآسى فى حياته، بل إنه جل وعلا عندما خلقه وهداه إلى الطريق المستقيم بالرسالات، أراد له الكرامة والعزة، وأن يحيا ويموت عزيزاً مكرماً شريطة أن يتحمل الأمانة التى عهد إليه بتحملها.وبناءً على ذلك؛ فإن كرامة الإنسان وقف على الأمانة التى يتحملها كما يقول سبحانه: «اِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الاِنسَانُ » (الاحزاب/۷۲). فالذى لا أمانة له لا شرف له ولا كرامة ولا عزة؛ أى ليس له ما يجعله يستحق العيش والاستمرار فى الحياة.إن الله تبارك وتعالى يريد من الإنسان أن يكون أميناً أوأن يبذل الغالى والنفيس من أجل إعطائها حقها وإن كلّفه ذلك حياته أحياناً، وأن يكون عند كلمته، ويفى بالعهد والوعد لكى يقوم مجتمع يتسم بالأمانة والشرف والكرامة، وتسوده روح العدل والعدالة. فلابد أن تسود وتحكم العدالة المجتمع الإنسانى؛ فالظلم الذى هو ضد العدالة ظلمات وتحطيم للإنسان وشلّ لحركة الإنسانية وتطلعاتها نحو آفاق الازدهار الحضارى الحقيقى، والظلم عائق كبير دون سير البشرية نحو طموحاتها فى بلوغ أهدافها التكاملية النبيلة والمدنية الفضلى.

وصيتان إلهيتان

وفى هذا المجال يقول تبارك وتعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ» وهاتان وصيتان إلهيتان عظيمتان للبشرية لهذا الإنسان الذى جعل الله تعالى له عينين ولساناً وشفتين وهداه النجدين، وليس هناك من هو أعلم منه سبحانه بهذا الإنسان وما يكتمه فى قلبه، وما يدور فى ذهنه من أفكار، وما يهيج فى نفسه من عواطف.والوصيتان – كما هو واضح من صريح الآية الكريمة– هما:۱– أداء الأمانات إلى أهلها، أى إلى أصحابها، وهذا هو موضوع الأمانة.۲– ان الحكم بين الناس ينبغى أن يكون بالعدل، وهنا تأتى الإشارة إلى موضوع العدالة.كيف نحقق مجتمع الأمانة والعدالة؟والسؤال الذى يطرح نفسه فى هذا المجال هو: كيف السبيل إلى تجسيد هاتين الوصيتين الإلهيتين فى حياتنا العملية، وبتعبير آخر: كيف نحقق ونبنى مجتمع الأمانة والعدالة فى هذه الأرض؟الجواب: ليس بعيداً عنا، ويمكننا الوصول إليه عبر الآية التالية: «يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِى الأَمْرِ مِنْكُمْ». فلكى نحقق مجتمع العدل والكرامة لابد أن نخلق فى أنفسنا فضيلة الطاعة لله جل وعلا، ولمن بعثه إلينا رسولاً، ومن ثم لمن استخلفه الرسول إماماً، أو لمن استخلفه الإمام ولياً للأمر، وهذا هو السبيل وإلا فبدونه لن يتحقق العدل، ولن يتم الوفاء بعهد الأمانة، ولعل المشكلة الكبرى التى تعانى منها البشرية بالأمس واليوم ومن الممكن أن تبقى متورطة فيها مستقبلاً، هى ضلالها عن هذا السبيل، فالجميع يتشدقون بالعدالة ويتمنونها، ولو نظرنا إلى جميع القوانين لوجدناها تحكم باسم العدالة، ولعرفنا أن

هـذه العدالـة ليست إلاـ ديباجـة برّاقـة لكـل الـدساتير الموجودة فى مختلف أنحاء العالم، وكلها تـدعى ارتكازها واسـتنادها إلى مبـدأ العدالـة. ولكن أين هى العدالـة حقـاً؟إن البشـرية مادامت قـد ضـلت الطريق اليها فلا يمكن أن تصـلها وتبلغها وإن كان طعمها مرّاً فى بعض الأحيان عندما تصطدم بالأهواء وما تشتهيه الأنفس.

سبيل العدالة

فلابـد – إذن– من البحث عن سبيل العـدالـة عند الله جـل جلاله، وعلى لسان أنبيائه ورسـله، والأئمة والأولياء؛ وهذا هو مفهوم الطاعة؛ طاعـة الله من خلال الامتثال إليه فى أوامره ونواهيه التى جاءت فى كتابه العزيزـ وطاعته عبر طاعـة رسوله، وطاعـة الـذين نصـبهم أئمة للناس وأولياء للأمور. وتبقى سلسـلة الطاعـة متصـلة ابتـداءً من قاعـدتها المتمثلـة فى طاعـة ولى الأمر، وانتهاءً بالقمـة وهى طاعة الله عز وجل.وهكـذا فإن طاعـة ولى الأمر تعنى طاعـة الإمام المعصوم، وهو فى عصـرنا الإمام الحجـة بن الحسن عجل الله فرجه، وطاعة الإمام الحجـة تعنى طاعـة الرسول التى تعنى بـدورها طاعـة الله سـبحانه، وهـذا بالإضافـة إلى الطاعـة المباشـرة للخـالق، وهى الامتثال لأوامره ونواهيه التى صرّح بها وبيّنها فى كتابه العزيز.

مقياس ولى الأمر

وقـد يسـأل سائل فى هـذا المجال: هل أن ولى الأمر هو كل من اسـتتبت لـه الأمور، وحالفه الحظ فى الوصول إلى السـلطة وقيادة زمام الأمـة؟!وللإجابة على هذا التساؤل نقول: كلا بالطبع؛ فليس كل من يعتلى الكرسـى بأية وسـيلة كانت يغدو ولياً لأمر الأمة؛ بل لابـد أن يكون الولى الحقيقى للأمر ذلك الذى لا يزلّ ولا ينحرف عـن خط الرسالة ونهجها قيد أنملة، وأن تكون حياته انعكاساً لله وللرسول. وأن لا تتناقض كلماته وكلمات الله التى لا يمتـد إليهـا التبديل والاختلاف، وحاشـى لله تبارك وتعالى من الإختلاف: «وَلَن تَجِدَ لِسُـنَّةِ اللَّهِ تَبْـدِيلاً».وعلى هـذا؛ فليس من المعقول أن يكون أمر الله متجسـداً فى طاعـة رجل يعاقر الخمرة، ويظلم، ويسـفك الدماء بغير حق، ويقتل النفوس الزكيـة، ذلك لأن رسالات السـماء هى دعوة لتحقيق القسط والعدل اللتين لا يمكن انتظارهما من حاكم جائر يعمل فى الأمـة بالظلم والبغى، ويتخلق بصـفات الفسق والفجور.إن ولى الأمر الذى ينبغى على الأمة طاعته والانقياد لـه هو ذلك الشـخص الذى تتجسد فى أخلاقه وسلوكه وتعامله ونهجه وعموم سيرته قيم السماء ومفاهيم الرسالة ومناهجها البينة.

اهل البيت هم أولو الأمر

ونحن إذا تصـفحنا التأريخ وبحثنا عن أولياء الأمور الذين تتمثلفيهم تلك الصفات فكانوا عنواناً للقرآن الكريم، وبات كيانهم جزءاً من كيـان الرسول صـلى الله عليه وآله فى الأخلاـق والسـيرة والعلم؛ فحيوا حيـاته، وماتوا مماته، ولم يحيـدوا عن طريقه ونهجه. لا نجـدهم سوى آل محمد عليهم السـلام، الذين هم أولياء الأمر الحقيقيون، وفيهم شهادة القرآن العظيم؛ فكل ثناء فيه لابد أن يكون من نصيبهم هم بالـذات؛ فهم الكـاظمون للغيـظ، والعـافون عن النـاس، وهم المقيمون للصـلاة، والمؤتون للزكـاة، وهم الراكعون الساجـدون، وهم المنفقون فى السـر والعلانيـة، وهم الشـاكرون لربهم فى السـراء والضـراء... إلى عشـرات بل مئات الخصال أوصـى القرآن بالتحلى بها، وحث على اتباعها قولاً وعملاً، فهم عليهم السلام أمثال القرآن فى حياتهم، بل إنهم القرآن الناطق بين الناس.

هل انتفت الحاجة إلى الإمامة؟

وبعد أن أدى الرسول صـلى الله عليه وآله، والأئمة المعصومون عليهم السـلام ما كلّفوا به، وحُمّلوه من أمانة الرسالة، والإمامة ثم مضوا إلى بارئهم الواحـد بعـد الآخر، ترى هل تنتفى الحاجـة حينئـذ للإمامـة التى بها يسـتتبّ العدل، وتصان الكرامات، ويزول الظلم، أم أن

البشرية بلغت فى مستواها العقلى والفكرى مبلغ القمة التى هى عند الأئمة فلم تعد بحاجة إلى الإمامة، أم أن الحاجة إلى العدالة قد انتفت أساساً؟أقول: إن ما يشهد له التاريخ أن البشرية تبقى دائماً بحاجة إلى من يأخذ بزمامها فى الحياة، ويحكّم فيها العدالة، ولو كانت هذه الحاجة تنعدم بمرور الزمان لكان يكفى البشرية منذ خلقها الله تعالى وحتى يوم القيامة نبىّ واحد.

من هو الإمام فى عصرنا الراهن؟

وإذا ثبت لنا أن هذه الحاجة باقية، فمن الذى يتولى - إذن- الإمامة فى عصرنا الراهن؟هنا تتكفل بالإجابة نظرية المنقذ الذى شاء الله تعالى له الغيبة إلى أجل لا يعلمه إلا هو سبحانه، ليملأ به الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً؛ فقضية حاجة البشرية فى زمن ما للإمامة والقيادة، وانتفائها فى زمن آخر لا تنسجم مع نظرية العدل الإلهى، والحكمة الربانية فى استمرار اللطف والرحمة، بالإضافة إلى اصطدامها بالعقل والمنطق.

آثار وجود الإمام المنتظر

ولوجود إمامنا المنتظر آثار عظيمة ومتنوعة، ربما نجهل الكثير منها، ولعل أعظم هذه الآثار ولاية الفقهاء على الناس وطاعتهم لهم، والتى هى ليست طاعة ذاتية باعتبار أن الفقهاء ومراجع الأمة نواب عن الإمام الحجة المنتظر، فولاية الفقهاء على الناس هى شعاع من أشعة ولاية الأنبياء وقبس من نورهم عليهم السلام. فلنحاول أن نبحث فى هذا القبس من خلال بعض المفردات، ومن ضمنها وأهمها مفردة الاستقامة والثبات على الطريق. ومثل هذه الاستقامة لا يمكن الوصول إليها إلا من خلال اتباع وتولى هؤلاء الفقهاء والمراجع الذين يمثلون خط الولاية للأئمة والأنبياء والرسل أجمعين، على أن تمثيلهم هذا لخط الولاية لاينفى ضلال أكثر الناس عنهم وعدم اتباعهم لهم لجهلهم بهم، والتمرد على مذهبهم الصحيح، ولا غرابة فى هذا الأمر إذا لاحظنا التصريح به فى محكم القرآن الكريم حيث يقول الله سبحانه: «وَمَآ أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ » ويقول: «وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِ كَارِهُونَ». فعدم إيمان الناس بالله جل جلاله لا يعنى انتفاء الوجود الإلهى وصحة الإلحاد، وعدم اتباعهم للحق لايعنى أن الحق مرفوض، بل إن الإنسان يميل فى أعماق ضميره، إلى الحق، ولكنه عندما يصطدم بالمصلحة الذاتية يكرهه ويفرّ منه.ونحن عندما نبحث عملياً عن السر فى بقاء ديننا، وتوجّهنا إلى الخط الصحيح، والصراط المستقيم، ومعرفة الله تعالى معرفة صحيحة خالية من أية شائبة، نجد أن خط العلماء هو الخط الذى أنعم الله تعالى به علينا؛ فهم الذين علّمونا معالم ديننا، ونقلوا إلينا هدى الأئمة وبصائرهم التى هى بصائر القرآن، وهدى الله سبحانه، ولذلك فإن الذين يهجرون خط العلماء، ويبتعدون عنه سواء كانوا أفراداً أم جماعة، فإنهم بتركهم وابتعادهم هذين سوف يضلون ضلالاً بعيداً.

اهمية اتباع المرجعية

وهكذا ينبغى على المؤمنين أن ينتبهوا إلى الأهمية الفائقة لاتباع المرجعية، والالتفاف حولها، بالإضافة إلى توقيرها وإجلالها، وأن يعملوا ويسيروا على خط هذه المرجعية، ويزيلوا من نفوسهم كل الدواعى والأسباب التى تؤدى إلى ابتعادهم وانحرافهم عن هذا الخط -لا سمح الله- لضلال يقعون به بسبب المضلين، أو لحسد، أو كبر، أو عجب يقع فى نفوسهم، فيدفعهم إلى الخروج عن طريق الاستقامة الذى أمر به نبينا صلى الله عليه وآله، ونهى - فى نفس الوقت- عن اتباع أهواء المضلين فى قوله تعالى: «فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ»

خط الولاية هو الخط القويم

ويبقى الطريق مستقيماً منذ أول نبى وحتى آخر مرجع إلى حين ظهور الإمام المهدى عجل الله فرجه، وبتوفر هذه العوامل الإيمانية يمكننا أن نحقق النجاح والنصر، فخط الولاية هو الخط الصحيح والقويم، وإذا ما سلكناه ولم ننحرف عنه قيد أنملة بلغنا هدفنا فى نشر العدالة، ونيل العزة والكرامة فى حياتنا الدنيا، وسرنا نحو الهدف التكاملى المتمثل فى التقرب الى الله عز وجل، وإن اخترنا غير هذا المسلك القويم يبقى مصيرنا -عندئذ- التيه والضلال، ولذلك يأمرنا سبحانه، ويحذرنا من هذا التيه والضلال فيقول: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً».والله سبحانه إنما يهدينا إلى الصراط المستقيم من خلال طاعته التى هى طاعة رسوله وأوليائه ومن ينوب عنهم، والرجوع إليهم فى كل صغيرة وكبيرة، والانقياد لهم بكل طواعية عبر اتباع أوامرهم وتوجيهاتهم كما يؤكد على ذلك سبحانه فى قوله: «يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِى الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَومِ الاَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً».

اوجه الشبه بين الإمام المهدى و النبى موسى

هناك أوجه شبه بين النبى موسى بن عمران عليه السلام، وبين الحجة بن الحسن عجل الله فرجه، ولذلك فإن الآيات التالية من سورة القصص فسّرت فى أحاديثنا وفى أحاديث المذاهب الإسلامية الأخرى بحياة الإمام المهدى، وهذه هى الآيات: «إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِى الاَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِى نِسَآءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ، وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِى الاَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ، وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى الاَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ، وَأَوْحَيْنَآ إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى الْيَمِّ وَلاَ تَخَافِى وَلاَ تَحْزَنِى إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ» (القصص(۴-۷)أوجه التشابه بين الإمام المهدى وموسى عليهما السلاموتبرز أوجه التشابه تلك فى النقاط التالية:۱- إنّ موسى بن عمران عليه السلام أرسله الله تقدّست أسماؤه، وبعثه بعدما علا فرعون فى الأرض وملأها فساداً واستكباراً. فقد ورد فى بعض التواريخ أن فرعون لم يكن يحكم مصر وحدها، بل كان يحكم جميع المناطق المتحضّرة آنذاك. وبناءً على ذلك فإن فرعون كان قد ملأ فى ذلك العصر الأرض فساداً وظلماً وجوراً، فبعث الله تعالى النبى موسى ليملأها قسطاً وعدلاً وحرية وكرامة، فيكون الخالق بذلك قد أدخر رجلاً من آل عمران ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً.

اثبات القدرة الإلهية

۲- إنّ موسى بن عمران عليه السلام كان معجزة الله عز وجل فى الأرض، فعندما يئس الجميع، وعرفوا أن لا ملجأ ومنجى من الله إلا إليه، وعندما عجزت كل الوسائل الطبيعية من أن تمنح الناس الخير والسعادة والرفاهية، فإن الله سبحانه ولكى يثبت لعباده أنه هو القاهر فوقهم، وأنه هو الحاكم والمهيمن، وله السلطان والملكوت، فقد بعث موسى بن عمران عليه السلام بعد أن عاش وتربى فى بيت فرعون لكى يثبت للبشرية أن الإنسان مهما طغى واستكبر فى الأرض، فإن الله تعالى يبقى أكبر منه، وأنه سيجعل هلاكه على يد الذى ربّاه بيده.وهكذا الحال بالنسبة إلى الإمام الحجة عليه السلام فإنه سيأتى بعد أن يعم اليأس الجميع، ويستبدّ بالبشرية شعور العجز عن توفير الخير والرفاهية لنفسها إلا بالتوجّه إلى بارئها تبارك وتعالى، ولذلك فعندما يظهر الإمام المهدى عليه السلام فإن البشرية بأسرها سوف تهرع لتبايعه.صحيح أنه عليه السلام سوف يخرج بالسيف، ويظهر به، ولكنه لا يشهره إلا ضد المعاندين، فالغالبية العظمى من الناس سيسلمون على يديه الكريمتين طواعية دون أى قهر وإجبار، لأن الله عز وجل سينزل عيسى بن مريم عليه السلام فيصلّى خلف إمامنا الحجة بن الحسن كما جاء فى أحاديث المذاهب الإسلامية، وعندما يشاهد المسيحيون نبيّهم يصلّى خلف المهدى فإنهم سيهرعون إلى بيعة الإمام عليه السلام.إن الجاهلية المادية الطاغية فى الأرض سوف تصل بالبشرية إلى حالة انعدام الوزن، وعند

الوصول إلى هـذه النقطـة فإنهم يبدؤون بمراجعة أنفسـهم ويتساءلون عن جدوى المذاهب المادية المختلفة التى ابتلوا بها، ثم يأخذون بالتطلّع إلى هـدف آخر يعقـدون عليه الآمال بعـد أن ينفضوا عن أنفسـهم غبار الجاهليـة الجهلاء. وهنا يعلو صوت الإمام المهدى عليه السـلام فيسـمعه جميع أهل الأرض،وفى هـذا الصوت الربانى يجدون بغيتهم، فيسـرعون إلى قبول دعوته فتسود الأرض عدالته، ويسود الإسلام.

الانتظار الطويل

اشاره

۳- إن المؤمنين من بنى إسـرائيل كـانوا فى انتظـار نبيهم موسـى عليه السـلام سـنين طويلـة، وعنـدما اسـتبد بهم اليأس، وبلغ مـداه كفر بعضـهم بالبشـارة، وظنوا أن المنقـذ لن يأتيهم، ولكن الله سـبحانه وتعالى أرسـله لهم بعـد اشـتداد الأزمـة، وسوء الظروف، فكانت بعثة موسـى عليه السـلام نجاة وبركـة ورحمـة لأولئك القوم، ونحن أيضاً قـد طال انتظارنا كما طال انتظار سائر المظلومين والمحرومين فى العالم.

الغيبة الصغرى

۴- كانت لموسـى بن عمران عليه السـلام غيبـة صـغرى؛ فعنـدما ولد أمر الله تعالى أمّه أن تضـعه فى التابوت وتلقى به فى اليم، وهكذا الحال بالنسبة إلى الإمام الحجة عليه السلام فقد غاب هو الآخر عن الأنظار منذ اللحظة الأولى من ولادته إلا عن خواص مواليه.

واجبنا فى عصر الغيبة

ولكن السؤال المهم المطروح هنـا هو: مـاذا علينا أن نعمل ونحن نعيش عصـر الغيبـة؟إن علينا أن نعلم ونحن فى عصـر الغيبـة أن شـعلة الأمل الإلهى لابـد أن تبقى وتسـتمر فى قلوبنا، فالطغاة يحاولون أن يسـلبوا منّا الأمل والرجاء، وهم يعملون جاهـدين من أجل أن ينخر اليـأس قلوبنـا، ويكيلوا لنا الضـربات الموجعـة.. وهـذا هو هـدف الطغاة، ولكننا عنـدما نعلم ان الله سـبحانه قـد ادخر لنا أملاً ونجاة فإننا سنعرف أن نهايـة هـذه المسـيرة سـتكون سـعادة الإنسـان، وأنّ العاقبـة للمتقين، فهـذه المسـيرة بـالرغم من صـعوباتهـا، وما يكتنفها من المشـاق، ومـا تتطلّب من التضـحيات الشخصـية، فإنهـا سوف تنتهى بالنصـر المؤزر.إن الطغـاة فى الأـرض اسـتطاعوا أن يقهروا البشـر، ولكنهم لم يسـتطيعوا أن يحصـلوا على الأمن والاسـتقرار رغم ذلك، لأن الشـعوب ماضـية فى مقاومتها لهم، وهى غـدت تشـكل الآن خطراً حقيقيـاً يهـدد مصـالحهم، ويقضّ مضاجعهم، وما علينا إلا أن نسـتمر فى هـذه المقاومـة لكى نكون بـذلك قـد جسّـدنا المفهوم الحقيقى للانتظار الـذى يعنى تهيئـة الأرضـية المناسـبة لظهور إمامنا المفـدّى المهدى عجل الله فرجه.الإيمان بالغيب؛ ماذا يعنى؟!«الم ، ذَلِكَ الكِتَابُ لاَرَيْبَ فِيهِ هُـدىً لِلمُتَّقِينَ ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ، وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمآ أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمـآ أُنْزِلَ مِن قَبْلِـكَ وَبِالاَـخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ، أُوْلـئِكَ عَلَى هُـدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُوْلـئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ» (البقرة/۱-۵)مـا هو الغيب؟ وما هو موقفنا من الغيب؟ وما هى علاقـة الغيب بالإمام المهـدى المنتظر عليه السـلام؟قبل اسـتعراض الإجابـة على الأسـئلة المتقدمة الذكر أودّ الإشارة إلى انّ القليل من الناس من يتزود بأحسن الزاد.وإننا جلوس حول مائدة العقيدة المباركة؛ فلا يكن حظّنا سوى رشـحات، وإنما ليحاول كلٌ منّا أن يكون زاده الأكثر والأنفع. لـذلك فإننى حاولت وأحاول أن أتحدث عن قضـية هامة جداً، وهى قضـية الغيب، لأنها من وجهة نظر العقيدة الإسلامية قضية محوريـة من شأنها أن تحدد علاقاتنا بالحقائق، فما هو الغيب يا ترى؟يؤكد القرآن الحكيم بادئ بدء أن آياته الكريمة هدىً، ولكـن ليس لكل من هبّ ودبّ، بل هى هدىً للمتقين. وأبرز صفات هـؤلاء المتقـين الذين سيقول عنهم

القرآن فى الموقع التالى: «أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» أبرز الصفات فيهم هى الإيمان بالغيب، فهو الشرط الأساس فى إيمان الإنسان المتقى الذى حصر الله سبحانه وتعالى فيه الفوز والفلاح فى الدنيا والآخرة.ومرة أخرى؛ أتساءل: ما هو الغيب؟ ولماذا أصبح الإيمان بالغيب محوراً أساسياً للإيمان؟إن الله جلّ جلاله هو الغيب، إن الرسالات السماوية هى الغيب، إن الآخرة هى الغيب، إن الإمامة فى أهل البيت وعصمتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هى الغيب. وإن أبرز وأهم غيب فى حياتنا، هو الإيمان بوجود وظهور وانتصار الإمام الحجة المنتظر عجل الله فرجه الشريف، ولكن لماذا؟..الجواب: إن الغيب هو خلق الشهود، وهو أصل الشهود، وهو روح الشهود، وهو محتوى الشهود، وهو فى الحقيقة النور الأسطع للشهود. فاللّب أهم من القشرة، ومن أراد شراء بضاعة ما فهو يهتم بتحديد حقيقة هذه البضاعة دون الاكتفاء أو الاهتمام بما يعكسه مظهرها. وعلى الرغم من أنّ كثيراً من الناس يقول بأن ماكنة السيارة هى التى تحرّك السيارة؛ لكننى أقول – كما هى الحقيقة – إن وقود السيارة، هو غيب السيارة وهو الوجه الآخر الأصيل لذاتها. وإنّ ضوء الشمس ليس هو الشمس، وإنما عين الشمس الغائبة عنّا هو التفاعلات الذرية الحادثة باستمرار فى الشمس، ولولا هذه التفاعلات لما أضاءت الشمس ولو للحظة واحدة وإن غيب الإنسان ليس حركته أو سكنته، وإنما الغيب فيه كامن فى قوة قلبه وسلامة أعصابه وشرايينه ومخّه. وإذا أمعنّا النظر فى حقيقة الإنسان لوجدنا أن مخّه ليس هو الأساس فيه، وإنما الروح هى المحور لديه، وإذا أمعنا النظر ثانيةً لعرفنا أن العقل هو موجّه هذه الروح. ثم إن هذا العقل والحياة والقدرة الكامنة فى الروح يقف وراءها أمراً أهم بكثير منها مجتمعةً، وهى إرادة الله سبحانه وتعالى، ولولا مشيئته وإفاضته وقدرته ونوره لتلاشت الروح الإنسانية؛ أو لنقل: لو لم تكن الإرادة الإلهية فى إيجاد الروح والقدرة لدى الإنسان، لأصبح هذا الأخير كالجماد أو هو أعجز من الجماد، إن صحّ التعبير عن وجود جمادٍ فى هذا الكون العجيب!...إذن؛ فكلّ حلقة من حلقات الغيب تأخذ أهميّتها وموقعها من مستوى التعمق فى النظر إليها. فكلما كانت هذه الحلقة أبعد من حيث الترتيب والعمق، كلما جسّدت هى الأساس والمصدر؛ أما النور والمظهر فلا شىء مهم يذكر فيهما، هذا هو الغيب...والإيمان بالغيب عادةً ما يكون فارقاً بين الإنسان والحيوان؛ الحيوان العاجز عن النفوذ إلى اللّب والجوهر إلّا بالحواس المادية. والبشر بدورهم على مراتب متفاوتة تجاه هذه المسألة؛ فالرجل العادى منهم ينظر الى طبيعة المجتمع المتخلفة والفقيرة والمتوترة والمضطربة، ولكنه لا يعرف السبب من وراء ذلك، وهو قد يقول: لعلّ الله خلقهم كذلك!.. ولكن الخبير منهم ينظر بعين متفحصة وخلفية فكرية متينة، فهو يؤكد – عالماً – بأن هناك أسباب للاختلاف والتخلف والفقر والتوتر والاضطراب وباقى الظواهر الأخرى. فالخبير يتعمق ويصل إلى العمق، فى حين أن الإنسان البسيط أو المعاند أو الجاهل يقتصر على التعامل مع المظاهر فقط. والفرق بين فريق المؤمنين وفريق الكافرين هو فى بالذات. فالكافرون لا يعلمون إلّا ظاهراً من الحياة الدنيا، فهم لا يعرفون إلّا أنهم يتوالدون ويتناسلون ويتكاثرون، وأنه لا يميتهم إلّا الدهر. وأما عن الآخرة فهم قوم عمون، لا ينظرون إليها، ولا يعرفون عنها شيئاً. أما فريق المؤمنين فهو من لا يضطر الى جعل الغيب شهوداً حتى يؤمن به، بل هو يرتفع إلى مستوى الإيمان به.وماذا يعنى ذلك؟!يعنى أن الإنسان المؤمن لم يعترف بالموت أو بما وراء الغيب من رؤيته القبر، أو ماوراء القبر من عذاب أو ثواب، وهو لم يؤمن بالغيب من رؤية رآها فى المنام، وهو لم يؤمن بأن الميت الفلانى يتعذب فى الوقت بعذاب القبر لأنه قد رأى ذلك فى منامه، وهو لا يقول إنّ فلاناً فى الجنّة لأنه قد رأى رؤية فى ذلك، فرؤية المنام لا ينبغى أن تكون العامل الحاسم فى الإيمان بالغيب، كيف كان ومتى كان؛ بل إن المؤمن ومن خلال محاكمة عقلية، ومحاسبة علمية، ومن خلال ارتفاع مستوى روحه الى الاستشراف على الغيب يؤمن بما وراء المادة والغيب. فهو يعلو ويعلو، ويسمو ويسمو إلى أن يصل الى أفق الغيب فيؤمن به كحقيقة ثابتة لا تقبل الشك.من هنا يقول البعض: أُومن بالإمام الحجة، ويسأل: من رأى الحجة؟ويجيبه رفيقه: لقد رآه بعضهم وقصته كذا وكذا. فهو يؤمن بالإمام المنتظر لأن أحدهم قد رآه فى اليقظة أو فى المنام، ولو كان لم يُرَ عليه السلام فى اليقظة أو فى المنام لأصبح لا وجود له!!إن الاعتماد على النقل الموثّق أمر صحيح، ولكنه يعبّر عن إيمانٍ جاهل وناقص؛ جاهل من حيث أنه لم يصدر عن ذات عالمة بذاتها، وناقص بالمقارنة مع ما هو كامل.إن الإيمان الكامل والواعى والقوى هو الإيمان المتنامى من خلال دراسة القرآن وجوهره وروحه، ومن خلال دراسة الأحاديث

النبويـة الشـريفة التى خرجت عن مصـدر الحق والصـدق الذى هو رسول الله صـلى الله عليه وآله، من خلال ذلك يؤمن الإنسان إيماناً أساسياً بحقائق الغيب، لا من خلال رؤية أحد الناس.

الايمان بالحقائق الغيبية

إن الإيمان بالحقائق الغيبية ينبغى أن يكون تسليماً للأوامر الدينية؛ بمعنى أن هذين الأمرين ينبغى أن يكون الإيمان بهما من البديهيات فى عقيدة الإنسان المسلم، وذلك قبل البحث عن الاستدلال أو الكشف عن أسبابهما ونتائجهما المادية.فالله سبحانه وتعالى حينما حرّم أكل لحم الخنزير، إنما حرّمه ليكون موضع ابتلاء وتمييز للملتزم من غير الملتزم، قبل أن يحرمه لمضارّه الصحية. والإنسان المسلم عليه التقيد بهذا القيد، إذ من دونه تكون نار جهنم بانتظاره.ثم إن من دون الاعتماد على الله والنصوص التى أوردها فى قرآنه الحكيم وعلى لسـان رسوله الكريم صـلى الله عليه وآله يكون دين الإنسان المسـلم أمراً معلّقاً على معرفـة الأسـباب قبل التأديـة، وبالتالى فإنّ نوعاً من اليأس من روح الله تعالى يسـيطر عليه، الواقع الذى وصـفه الله بالكفر، حيث قال سـبحانه: «وَلا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ» (يوسف/۸۷)إن الصحيح فى الأمر هو التصور المجرد بأنّ وراء الأوامر الإلهية جنات وثواب ورضوان، وأن وراء المناهى نيران وعقاب وسخط إلهى كبير، وأن الإيمان بالغيب هو العامل الأهم فى تلقى واستيعاب هذه الحقيقة.إن الشريعة الإسلامية – كمـا هو واضـح– تشـجعنا على العلم، وتحرّضـنا على السـعى نحو معرفـة أسـباب الأحكـام والأوامر والمناهى. ولكن لا يعنى ذلك أنّ إيماننا بالشـريعة الإسـلامية يكون متوقفاً على معرفـة أسـبابها، فهـذا الإيمان لا يعدّ أبداً إيماناً بالغيب.الإمام الصادق عليه السـلام يقول: "نحن – الأئمة – صُبّر، وشيعتنا أصبر منّا، "قلت (الراوى): جعلت فداك كيف صار شيعتكم أصبر منكم؟ قال": لأنا نصبر على ما نعلم، وشـيعتنا يصبرون على مالا يعلمون. ["۵] .إذن؛ فالقضـية تكمن فى ضـرورة الارتفـاع الى مسـتوى الإيمـان بـالغيب ومـا يتطلبه، وليس الاتجاه نحو تجيير الحقائق الإيمانية لصالح المذاقات النفسية والمادية، وإنما يتم ذلك عبر تعويد الذات على عدم الاكتفاء بما تشاهده العينان وتحسّه الحواس. بل لابد من الإيمان بما يشـهد عليه القلب والعقل، وما يطمئن إليه الضمير، وينصّ عليه الكتاب والرسول.وببالغ الأسف أقول: إن بعض الناس من المسلمين أصبح لا يؤمن بحكم شرعى حتى يعرف سببه أو يفسر له العلماء ذلك، وهذا يعتبر تجاوزاً صارخـاً على حقيقـة القرآن والأحكـام الشـرعية القائلـة بضـرورة الإيمان بالغيب والتسـليم بإخلاص الى أوامر الله ونواهيه، لاسـيما وأنّ الآيات القرآنيـة الكريمة التى تلوتها على مسامعكم فى مقدمة الحديث تشير بكل وضوح إلى أن الإيمان بالغيب أمر متقدم على إقامة الصـلاة – وهى عمود الـدين – وعلى الإنفاق فى سبيل الله تعالى ذكره.وكما تقدم؛ فإن الله ووحدانيته هما من مصاديق الغيب رغم أننا نعجز عن رؤيته بأعيننا، ولقد روى عن أبى عبد الله الصادق عليه السـلام قال: جاء حبر إلى أمير المؤمنين صـلوات الله عليه فقال: يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك حين عبـدته؟ قال: فقال: ويلك ما كنت اعبـد رباً لم أره؛ قال: كيف رأيته؟ قال: ويلك لا تدركه العيون فى مشاهدة الابصار ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان. [۶] فالله تعالى قد خلق أرضاً واحدة، وجعل فيها ماءً واحداً، وشمساً واحدة، ولكنّه جعل أنواع متعـددة من الفاكهـة.. ونحن من خلال كل هذا نصل الى معرفة أسـماء الله، وآيات الله، وقدرة الله و تدبيره.وهكذا من كان يشـك فى وجود أو ظهور أو انتصار الإمام المهـدى عجل الله فرجه الشـريف فالمشـكلة فيه هو لا غير. فالأدلـة كثيرة للغايـة، ولكنه هو بذاته أصبح – لضعف إيمانه – لا يؤمن بالشىء دون أن تراه عيناه.ويروى أن أحد الزنادقة جاء الى مقبرة الكفار فتناول عظماً من عظام الموتى، وقال لمن كان حاضـراً من المسـلمين: أرى أنكم تقولون إن الكفار يتعرضون لنار القبر، وإن هـذا العظم بارد كقطعـة ثلج فى يدى.. فجىء به إلى أمير المؤمنين عليه السـلام الذى أجابه بعد أن تناول حجرين من الأرض وضـرب بعضهما ببعض فأنقدحت شرارة من نـار: أين كـانت هـذه النـار؟نعم؛ إن جهنم محيطـة بالكـافرين، انسـياقاً واتّساقـاً مع أعمالهم ومعتقـداتهم الشـيطانية.وفيما يروى من الأحاديث الشـريفة، هو القول بأن فائدة الإمام الحجة عليه السلام كفائدة الشمس التى تسترها السحب.ولتوضيح ذلك، أقول بأن الإمام عجل الله فرجه الشـريف – كما كان آباؤه الطاهرون– هو عـدل القرآن، وهما ثقلان ورافدان إلهيان؛ ولكن لمن كان له قلب وأراد أن

يتذكر ويتبصّر ويستفيد. فهؤلاء العلماء الربانيون والمجاهدون العاملون إنما يتزودون بزاد هذا الإمام العظيم، وإن سلوكهم الشريف وعدم انصياعهم وراء الهوى والوساوس الشيطانية، إنما هو انعكاس لعمق اتحادهم مع توجيهات الحجة عجل الله فرجه الشريف لهم.

سنّة سماوية

إن من سنن الله تعالى فى خلقه، هو أن من يرتدّ عن دينه الحنيف - نظرياً أو عملياً - يصاب بالذلة والضياع فى دنياه قبل آخرته. وفضلاً عن أن هذه الحقيقة مثبتة فى الآيات والأحاديث، فهى مجربة وملموسة، بالذات لمن اهتدى الى الإسلام، حيث يجد فى داخله راحة واطمئناناً عجيباً.وفى القصة القرآنية التالية يشير الله تعالى إلى هذه الحقيقة، وإلى ضرورة الإيمان بالغيب والتسليم للتكاليف الشرعية، وإلى ضرورة نبذ ثقافة التبرير الجاهلية التى تعتبر مصداقاً على تراجع الأمة ودليلاً على تخاذلها وذلها. ففى سورة البقرة يوضح الله تعالى الذل والتراجع الذى أصاب بنى إسرائيل، حينما أصابهم مرض الرغبة فى التهرب من التكاليف الشرعية، وعدم إيلائهم رسول الله موسى بن عمران عليه السلام حقّ منزلته وشرفه.«وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ، قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ، قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ، قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِنْ شَآءَ اللّهُ لَمُهْتَدُونَ ، قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلاَ تَسْقِى الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لاَشِيَةَ فِيهَا قَالُوا الاَنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ» (البقرة/۶۷-۷۱)إنهم اتّهموا نبيهم بالسخرية والاستهزاء رغم أنه لم يكن كذلك، بل كان رجلاً قائداً عملاقاً شديد المراس. وأرادوا التملّص من الواجب المكتوب عبر التساؤل المتكرّر، حيث كانوا يأملون نفاذ صبر النبى موسى عليه السلام، أو عسى الله أن يبدل رأيه... ثم إنهم ولفرط الضعف فى إيمانهم كانوا يصفون الله بأنه رب موسى، وكأنه ليس ربهم أيضاً؛ أى كأن الأمر لا يعنيهم، وأنهم حينما ينفذون المهمة يمنون على نبيهم وعلى ربه..!«فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ». أى أنهم نفذوا الأمر دون تسليم أو رغبة أو تعبّد أو رجاء للثواب.. وهم كلّما يتباطؤون فى التنفيذ، كلما زادت عليهم المشاكل. ففى وقت كان المطلوب منهم ذبح مجرد بقرة - تلاحظ الصيغة النكرة هنا - سوّفوا الأمر حتى اضطروا فى نهاية المطاف الى البحث عن بقرة فريدة من نوعها، وبعد عناء شديد وجدوها فى حوزة عجوز فيهم، وهذه العجوز حينما علمت حاجتهم الى بقرتها أخذت بالمساومة والتمنّع ورفع السعر أضعافاً مضاعفاً، حتى اضطرتهم الى القبول بشرائها مقابل أن يملؤوا جلدها - بعد سلخها - ذهباً!!هذا واقع بنى إسرائيل، أما صحابة الرسول صلى الله عليه وآله، والخلّص من الشيعة، فقد كانت سمتهم الأولى أنهم كانوا يتمتعون بروح الانضباط والتسليم، إيماناً منهم بالله الذى لا يريد سوى فائدتهم، وحبّاً فى التعبّد الخالص الذى هو الآخر لا يعود بغير الفائدة عليهم.أمّا نحن - فى الوقت الراهن - فلو كنّا أطعنا قياداتنا الإسلامية منذ النداء الأول، ودخلنا فى العمل بروح جماعية، لما وصل بنا الحال على ما هو عليه الآن، ولكانت التضحيات أقل بكثير، ولكانت النتائج الإيجابية أكثر بكثير. إلا أن ثقافة التبرير والتسويف قد تأصلت بنا وتجذرت فينا الى حدٍ لا يمكن الخلاص منها من دون العودة الى مفاهيم القرآن الكريم، وتفسيرهللسنن الكونية الخاصة بهذا الإطار.إننا بأمس الحاجة إلى الاقتداء بأمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام، الذى كان قوله وفعله وسكنه رهن إشارة صغيرة من النبى صلى الله عليه وآله. فكنت تراه أول المضحين، وأول المقاتلين، وأول المؤمنين، وأول المنفذين.. وهو بذلك يضرب للمسلمين المثل الأعلى فى الانصهار فى المفاهيم القرآنية، وفى التربية الرسالية؛ روحاً ومظهراً، فما أحوجنا نحن اليوم الى تطبيق الإسلام، وهو الموجود فى كتاب الله المقدّس، تطبيقاً فردياً واجتماعياً ومصيرياً..

الاتصال بالغيب حاجة ماسة

من المعلوم أن العقبات والمشاكل التى تقف فى طريقنا كثيرة، وهى مختلفة وسائدة فى جميع المجالات، وخصوصاً النفسية

والاجتماعية والسياسية، وجميع هذه العقبات من شأنها أن تعترض طريق تطبيق الإسلام، وبتعبير آخر؛ فإننا نريد أن نجتاز فى حياتنا كل هذه العقبات، وأن نحقق نصراً مؤزراً، وأن نوحّد الأمة الإسلامية، وننقذها وننقذ شعوبنا المحرومة البائسة من براثن الظلم، والاستغلال، والتبعية، والتخلف.ترى ماذا نملك من الزاد لمواجهة هذه العقبات؟ إن أكثر الناس ينهارون نفسياً أمام ضخامة المشاكل قبل أن يواجهوها، لأنها كثيرة ومتنوعة.

زادنا أمام العقبات

اشاره

إننا نمتلك فى هذا المجال زاداً واحداً هو الاتصال بالغيب، وبمعنى آخر؛ فإن إيماننا بالإمام المنتظر عليه السلام هو الذى يسعفنا ويغيثنا فى هذه الحالات، فهو عليه السلام يمثل لنا نقطة ضوء ساطعة تلوح لنا من بعيد، وتفهمنا بأن اليأس حرام، وأن نهاية العالم ستكون نهاية سعيدة، وأن العدالة سوف تسود الكرة الأرضية.وحتى لو لم نمتلك هذا العامل النفسى، والأثر الروحى بالنسبة إلى إيماننا بالإمام الحجة عجل الله فرجه، فهناك فوق كل ذلك الاتصال المباشر بين قلب الإنسان المسلم وإشعاع هذا الإمام أو تجلّيه فى هذا القلب، ففى أصعب الحالات وفى مواجهة أشد الظروف حراجة على كل واحد منا أن يتوجه بقلبه إلى الإمام المهدى عليه السلام وأن يطلب إلى الله تبارك وتعالى أن ينصره بوجاهة هذا الإمام. وحينئذ سنحسّ بمدى قوتنا، ومدى الثقة بأنفسنا التى ستغمرنا عند مواجهة المشاكل والعقبات.إننا بصفتنا مؤمنين وحاملى رسالة، فإن علينا أن لا نقطع علاقتنا به، بل علينا أن نبقى على اتصال مستمر به، وأن ندعوا له ونطلب الفرج من الله له.

القيادة و القرار الصعب

وهذه العلاقة القلبية ستمنحنا -ولا ريب- القدرة على مواجهة المشاكل، وأنا أوجه هنا حديثى إلى المؤمنين العاملين فى سبيل الله فى كل مكان لأقول لهم: إنكم تعيشون الآن مع بعضكم البعض، وتقتبسون النشاط والحيوية من بعضكم البعض، وإذا ما ساءت بكم الأوضاع فإنكم ستستمدون الروحية والمعنوية ممن هو فوقكم، ولكنكم عندما تصبحون -إن شاء الله- قادة هذه الأمة فحينئذ ستشعرون بالوحشة، وفى هذه الحالة يجب أن تتخذوا القرار المناسب الذى ترون أنفسكم مسؤولين عنه أمام الله عز وجل وأمام الناس، وبذلك ستشعرون بالرهبة والوحشة، فلا تعرفون كيف تعملون، وفى نفس الوقت فإنكم لا تستطيعون أن تتهربون من اتخاذ القرار، ولا يمكنكم أن تستعجلوا فى اتخاذه.وقد مرّت هذه الظروف نفسها بالميرزا محمد حسن الشيرازى المرجع الأعلى لأتباع مذهب آل البيت عليهم السلام آنذاك، فقد كان هذا الرجل يشعر بضخامة المسؤولية عندما علم أن البريطانيين أمسكوا بزمام الأمور فى إيران، وأن الملك قد تحالف معهم، وأن الناس لاذوا بالصمت، وبعض العلماء قد تعاونوا مع السلطة، وبذلك فقد كان يشعر بالتهيب والوحشة، فهل يتخذ القرار أم لا يتخذه، وعندما اشتد الضغط الجماهيرى على الميرزا بأن يقوم بعمل ما، انتظر حتى كان يوم الجمعة، وفى عشية هذا اليوم ذهب إلى (السرداب) المنسوب إلى الإمام الحجة عليه السلام وأمر الناس أن ينفضّوا من حوله، وبقى وحده لفترة فى السرداب ثم أصدر بعد ذلك فتواه المعروفة والقاضية بأن استعمال التبغ اليوم يعتبر بمثابة إعلان الحرب ضد الإمام المهدى عليه السلام.وعندما أصدر رضوان الله عليه هذه الفتوى كانت بمثابة الصاعقة التى نزلت على هشيم البريطانيين، فاحترق هذا الهشيم، وكانت أول هزيمة لحقت بالاستعمار البريطانى فى تأريخه، وهنا أريد أن أسلط الأضواء على لقطة من هذه الحادثة وهى أن أصدقاء الميرزا الشيرازى والمقربين إليه كانوا قد سألوه بالقول له: لماذا صبرت هذه الفترة الطويلة؟ فأجاب قائلاً: كنت انتظر الأمر من الإمام الحجة.ترى هل كانت لهذا المرجع علاقة مباشرة مع الإمام أو مع بعض أصحابه؟ أنا لا أعلم بالضبط، ولكن الذى أعلمه أن الإنسان عندما يكون

مخلصاً للخالق عز وجل ويجد صعوبات حادة فى حياته، فإن علاقته بالإمام المنتظر عجل الله فرجه ستنفعه حينئذ وسيسدّد من قبل ولى الله.

ضرورة الاهتمام بالمسائل الغيبية

وهنا أوجّه خطابى إلى طلاب العلوم الدينية فأقول لهم: إنكم بصفتكم طلبة علوم دينية، فإن من الشرف العظيم لكم أن تسيروا على خطى أهل البيت عليهم السلام وان تصبحوا نوّاباً للإمام الحجة الذى قال ": وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتى عليكم، وأنا حجة الله عليكم. [۷"] .إن هناك مسائل ظاهرة، وهناك أيضاً مسائل عميقة، فالمسائل الظاهرة فيما يتعلق بطالب العلم أن يذهب إلى الحوزة أو المدرسة، وينشغل فى الدراسة والمباحثة، ويصلح ما بينه وما بين أخوته، ويصلح أخلاقه، ولكن هناك بالإضافة إلى ذلك مسائل غيبية ينبغى أن يرقى إليها ويصل قلبه بها، فيتصل بالنور الأعظم من خلال تفجير العلم فى قلبه، وجعله طاهراً نقياً كما يقول الدعاء الشريف: المروى عن الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله ": اللهم ارزقنى قلباً تقياً نقياً من الشرك بريئاً لا كافراً ولا شقياً. [۸"] فعندما يكون قلبك نقياً، صافياً، طاهراً، زكياً، بعيداً عن الغى، والغش، والحقد، والحسد.. فحينئذ سيشعّ نور الله تبارك وتعالى فى قلبك، وستكون علاقتك بأولياء الله المغيبين منهم والظاهرين علاقة التفاعل.

لانقاذ المستضعفين

وبالإضافة إلى ذلك فإننا نحمل شعار الدفاع عن المستضعفين والمظلومين، وهو شعار كبير، ومن يحمل شعار كهذا فلابد ان يسود الاعتقاد نفسه بأنه قادر على تطبيق هذا الشعار فى واقعه.وفيما يتعلق بعقيدتنا بالإمام الحجة عليه السلام فإننا يجب أن نطرح على أنفسنا السؤال التالى وهو: كيف ننقذ المستضعفين فى الأرض؟وبالطبع فإن الشيطان لابد أن يدخل فى هذا المجال قلوب البعض منّا، فيقول: ومن أنا لكى أستطيع إنقاذ المستضعفين؟إن الحركات التاريخية الكبرى فى العالم بدأت من خلال أشخاص مستضعفين أمثالنا، وهؤلاء الأشخاص هم الذين غيّروا التاريخ فى الاتجاه الصحيح، وقد كانوا بشراً مثلنا، ولكن كان يحدوهم الأمل الراسخ والوطيد بأنهم يستطيعون إنقاذ المستضعفين من شعوبهم.ونحن أيضاً علينا - باعتبارنا مسلمين متبعين لخط النبى وأهل البيت عليهم السلام- أن نعمّق اتصالنا بالله سبحانه وتعالى أولاً ثم بوليّه الأعظم الإمام الحجة عجل الله فرجه؛ ومن دون هذه العلاقة التى تبعث فينا روح الأمل والتفاؤل، وتثير فينا العزم الراسخ والإرادة القوية، فإننا سوف نصبح مشلولين تماماً، وسوف نعجز تمام العجز عن القيام بأى عملٍ فى سبيل ديننا، وأمتنا.فلنقوِ هذا الاتصال ولنوطّده من خلال قراءة الأدعية، وأداء العبادات المستحبة المتعلّقة بالإمام المنتظر شريطة أن تكون تلك القراءة، وهذا الأداء نابعين من صميم قلوبنا، وخالصين لوجه الله الكريم.

پاورقی

[۱] بحار الانوار، ج۱۷، ص۱۳۱، ح۵.

[۲] بحار الانوار، ج۵۱، ص۸۴.

[۳] دعاء ابى حمزة الثمالى.

[۴] بحار الانوار، ج۱، ص۹۴، ح۲۶.

[۵] الكافى، ج۲، ص۹۳.

[۶] الكافى، ج۱، ص۹۸.

[۷] بحار الانوار، ج۵۳، ص۱۸۱.

[۸] بحار الانوار، ج۹۴، ص۸۹.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخيص بحار الأنوار، للعلّامة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آبادی" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَيت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإماميّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجی الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلی التّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فی المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التی يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ– فی آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فی أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَی.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائیّ و اليدویّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّی (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسيّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹